

في سبيل تأسيس علم الاستغراب

" فلسفة المقاومة اللاعنفية - هنري ديفيد ثورو - "

أ.د/ حسن كامل إبراهيم

كلية التربية - /كلية البنات - جامعة عين شمس

1435 هـ / 2014

المحتويات

استهلال

: .

: ويشتمل

: يدبر الدولة .

: ويشتمل

المطلب الأول : خير لـ .

المطلب الثاني : طبيعة حكم الأغلبية .

: من الذي يحكم : القانون أم الضمير .

: .

: ويشتمل

. :
هم من يعارض الإصلاح . :

: التصويت تلاعب بالحق والباطل .

. :

ويشتمل

: مواجهة

: ويشتمل

: عليها .

: الثورة السلمية ضد الدولة .

. :

: ويشتمل

: استعداد المواطن للتخلي عن حريته للدولة مقابل حماية الدولة له .

: حريتي أهم من الخضوع لأوامر الدولة .

. :

تعقيب .

ملحق : العصيان المدني بقلم هنري ديفيد ثورو .

بسم الله الرحمن الرحيم

مد لله رب العالمين والصلاة والسلام خاتم الأنبياء والمرسلين نبينا محمد صلي الله عليه وآله وصحبه ومن دعي بدعوته يوم الدين وسلم ...

استهلال

بدأ الأدب الأمريكي : American literature بداية

مركزه بين الآداب الأولى في العالم . إيجابياته أنه يمجّد :
، والتأكيد على الديمقراطية ، وحب الطبيعة
يد الأدبية من أجل كل إبداع جديد .

وتعد الفكاهاة عام
من الخصائص المميزة لهذا الأدب . شهد تطور
الأدب الأمريكي عدة مراحل هي : (1608 – 1765)
الازدهار الأول (1765 – 1850) ظهرت أشكال أدبية جديدة بعد الثورة الأمريكية :
American Revolution . فقد أشعل الاستقلال السياسي رغبة قوية للاستقلال في فن
أمريكا عن ماضيهم الأوروبي . ويبدو ذلك بوضوح في
كتاباتهم عن السياسية وتحرير العبيد ، وما لبث الأدب الأمريكي أن
(1850-1900) .

جانب هذا النوع من الأدب الأمريكي " الأبيض " إذا جاز التعبير – كان يوجد نوع
آخر من الأدب الأمريكي هو الأدب الأمريكي " الذي يدور حول مكافحة العبودية
والمناداة بالحرية والمساواة
قدم المساواة مع الأمريكي
الأبيض . وهذا النوع الأخير من الأدب كافح بدوره في تحقيق كافة حقوق الأمريكي

ومن المذاهب الفلسفية التي ظهرت بين هؤلاء الأدباء : " " البرهمية " " الكنفوشوسية " وغيرها من المذاهب الفلسفية . وظهرت مجموعة عليهم " " Transcendental : " " كتاب نيوإنجلاند : " New

Engalnd على أن بصيرة الإنسان بفطرته وحواسه تسمو على
طريق المنطق أو الاستنتاجات . " رالف والدو ايمرسون " : Ralph Waldo
Emerson (1882-1803) " لد كتاباته . "
هنري ديفيد " : Henry David Thoreau (1862-1817) صديق إمرسون فقد
يات الفلسفة المتعالد (1847 – 1845) حياة بسيطة في والدن
Walden Pond بولاية ماساشوسيتس Massachusetts وسجل تجربته في كتابه " "
، وهذا الكتاب يغوص في عمق الطبيعة و النفس البشرية وماهية الحياة .

" " لبحيرة والدن بوند من أعمال الكونكورد
Concord : ألف هناك : أسبوع نهري الكونكورد وميريماك : Merrimack
Concord and Rivers وقصته " " " : وهذا الأخير
اشتهر شهرة كبيرة بل يعده البعض من أفضل ما كتب في تاريخ الأدب الأمريكي .
في هذا الكتاب عن فلسفته المتعالدي جانب وصفه لما يوجد في البحيرة التي كان يقيم فيها
سهول ، وحشرات ، وحيوانات ، وأسماك ، وطقس ، وفصول السنة ، وأ

المتعالون مجلة دايل : Dial (1844-1840) نشرها فيها أفكارهم . ومن هذه
الأفكار أنهم يجدون الإله في كل شيء : الطبيعة ،، الخ . لقد كانت الطبيعة
كتابهم المقدس كما يزعمون .. قسمين : الأول : الذين اهتموا بالإصلاحات
الاجتماعية . أما الثاني : يضم أنصار " " " الذين اهتموا كثيرا بالإنسان
، وكان بينهما قواسم مشتركة عديدة جعلت " " يعيش في بيت " إيمرسون " عامين
، وكان يوجد أيضا تشابه كبير بين أفكارهما ، ولكنهما بمرور الزمن اختلفا .

حركة التسامي التي جسدها كاتبا المقالات " إيمرسون " " "

ضد المذهب العقلاني : Rationalisme

وارتبطت بوثوق مع الحركة الرومانسية : The Romantic movement .
عن كئب مع كونكورد بولاية مساشوسيتس، وهي بلدة تقع بالقرب من بوسطن : Boston –
غربي الولايات المتحدة الأمريكية - حيث عاش " إيمرسون " " "
الآخرين .

" الذي حمل عنوان "العصيان المدني" : Civil Disobedience المتضمن نظرية حول المقاومة السلبية في مخالفة القوانين غير العادلة ، شكل مصدر إلهام " ليو تولستوي " : Aleksey Nikolayevich Tolstoy (1828 – 1910) ويبدو ذلك واضحا في ه " مدينة الرب بداخلك " . أيضا مقاله Mohandas Karamchand : " حركة استقلال الهند التي قادها المهاتما " (1869- 1948) Gandhi) Martin Luther King, Jr : " (1929 – 1968) .

على الحقوق المدنية للأميركيين السود في القرن العشرين .
العشرين انتقلت أفكار " " " إلى الولايات المتحدة وألهمت العديد من الأميركيين الذين لم يعرفوا في معظم الأحيان أن كثير من نظرية اللاعنف قد انطلقت أصلاً من بلدهم .

لم يكن اهتمام " ثورو " اندماج الفرد في مجتمع قاس يفرض أعضائه ضريبة باهظة ، وإنما كان اهتمامه منصبا كيفية صد الفرد لمجتمع طفيلي يتوود للمرء ويتدخل في شئونه بلا موجب .

ه " " المتهرب ، والم وقالوا : " إنه كان يجب أن يشارك بقية مواطنيه حياتهم بدلا من الانسحاب محصن يجمع بين صفات الصومعة وصفات الكمين . كذلك اعترضوا قائلين : إنه لم يخسر شيئا لرفضه أن يدفع ضريبة الرأس لحكومة يعتبرها غير عادلة ، حيث إن صديقا له دفع الضريبة نيابة عنه ، وحصل له يتوجه مباشرة الحقول ليلتقط ويأكل من الثمار البرية الشبيهة بالتوت . وفي ذلك أصدق الدليل توأكله وتهربه من المسئوليات . وقالوا فضلا عن ذلك : نه لم يقوم بعمل معجز أو بطولي عندما عاش لمدة عامين في كوخه المطل بحيرة وولدن ، فقد كان بيت والدته من القرب منه بحيث تكاد تصله رائحة الطعام التي تطهوه (1) .

من يتصد " الخارجية الأمريكية " العنكبوتية " يجد عرضا تاريخيا للفكر اللاعنفي عبر صفحات التاريخ الأمريكي ، حتى إ المرء ليدهش من هذا التاريخ الطويل للفكر اللاعنفي منذ إنشاء الولايات المتحدة الأمريكية بل

يمكننا القول أن تاريخ الولايات المتحدة وأيديولوجيته

" اللاعنف الأمريكي : تاريخ " . لمؤلفته " آيرا تشيرنوس " .
الدراسات الدينية في جامعة " " الذي يحكي تاريخ اللاعنف الأمريكي .
فهذا الفكر أمريكا من أوروبا القرن السادس عشر ونضج وتطور في أمريكا
ومن هنا انتقل سياً وأفريقيا .

وحقيقة ما حدث في أمريكا أن : People هم بتغير الوضع الاجتماعي فكان أمامه
إما أن يستخدم العنف أو - رغم قدرته -
يستخدم أمريكا عبر أوروبا .
بتجديد المعمودية ، فقد كانوا منفصلين عن المجتمع بكل مشكلاته وتجاذباته وصراعاته العنيفة
ولذلك كانوا يبنذون العنف .

في أمريكا عندما مريكيون في مقاومة الاستعمار
البريطاني جماعة " الأصدقاء " التي عرفت باسم " الكويكرز
" : Quakers الذين : دفع ضرائب الحرب ، والرق ، واضطهاد الهنود الحمر .
" نقطة التحوّل الكبرى جاءت في العشرينات والثلاثينات من القرن التاسع عشر
تنتهي إلى خلفيات دينية م طالب بإلغاء الاسترقاق في الولايات المتحدة . كان
هؤلاء المطالبون بالإلغاء جميعهم تقريباً من المسيحيين ، ولم يكونوا جميعهم ملتزمين السعي
وراء أهدافهم بوسائل لا عنفية .

لكن الملتزمين منهم شكلوا أول مجموعة حول هدف التغيير السياسي الاجتماعي
اللاعنف كوسيلة لهم . كانوا يؤمنون بالإله . نه : لا يجوز
مطلقاً لأي إنسان أن ي . وعلى هذا الأساس شجوا الاسترقاق .
هو الطريق لممارسة السلطة بصورة منطقي

العنف أيضاً. وفي هذا الجو من الفكر اللاعنفي ظهر " ثورو " الذ
في مواجهة الحكومة : Government : State أو حكومة الولاية
أثر حريته وفرديته ما عداها ، وأثر ضميره الفرد قانون الحكومة . ويبدو ذلك
واضحاً في العديد من مقالاته خاصة مقالاته عن العصيان المدني التي كتبها عام 1849
(2) .

المبحث الأول : من يدير الدولة :

يطرح " ثورو " في مقالته عن " العصيان المدني " عدة قضايا ، ومن القضايا الرئيسية في المقالة : دور الحكومة الكائنة في دولة ما في إدارة شئونها ؟ . ويفتح " ثورو " مقالته بأن أفضل عمل ضروري أن تقوم به الحكومة أن لا تدير شئون الدولة . وليبيان هذا ثلاثة مطالب

مطلب الأول : خير لـ

يفتح " Aristotles : " (322 - 384 . .) ه " بتوضيح خير كل شيء أن يؤدي الوظيفة المنوطة به ، كل الفنون ، وكل الأبحاث العقلية ، و أفعالنا ، وجميع سلوكياتنا هدف بلوغ شيء من الخير . وهذا الخير الجزئي يـ الأخير في الخير الأقصى الكلي الذي يرنو إليه الإنسان ، والخير الأقصى يعني سعادة الإنسان . (3) .

ويسد " " " " فيشير أن خير الحكومات هي الحكومة التي تؤدي وظيفتها وحدد وظيفة الحكومة بأنها الحكومة التي لا تعمل . يقول : " : " خير لو أني رأيته معمولا به على نحو وأكثر منهجية . نفاذه يؤول أخيرا ية التي أو من بها هي الأخرى : " خير الحكومة ما لا يحكم إطلاقا . " وعندما يكون البشر مستعدين له فذلك نوع الحكومة الذي سيحصلون به . " (4)

هذا ما يراه " ثورو " أو ما يزعم أنه دور الحكومة وهو أنها لا تحكم ، وهذه نظرة فردية متطرفة تؤدي إلى تحويل المجتمع إلى غابة . ولكن الواقع غير ذلك فدور الحكومة أن تدير " " : "government = " . " : قضي به وفصل . ويقال يحكم البلاد ، أي يتولي تسيير شئونها وإدارتها . وبالتالي الحكومة هي من يحكم الدولة ، إن الحكومة هي هيئة يقومون بتدبير شئون كرئيس ، ورئيس الوزراء ، والوزراء ، ومرعوسهم .

الحكومة : جهاز سياسي يتكون من عدة وزراء يسيرون شؤون الدولة ومرافقها في شتى . تطلق الحكومة الآن على هيئة الوزارة في الدولة . : جمهورية

ية ، و استبدادي . ومن أنواع الحكومات : الانتقالية ، والاتحادية ، والظل ، والنيابية ، والمركزية ، تكتل ، ذات صلاحيات محدودة ، والائتلافية . إن الحكومة كلمة ومصطلح سياسي يستخدم لوصف حكومة اليوم . وتضم مجموعة من السياسيين الذين يحتلون مناصبهم كأعضاء : .

- مجموعة أشخاص لديهم سلطة لاتخاذ قرارات .
- لآلية التي تحدد القيم في جماعة .
- الإدارة التي توجه وتتحكم في الشؤون العامة لوحدة سياسية .
- الأنشطة أو العمليات المتصلة بالحكم أي ممارسة الضبط الآخرين أو توجيههم للقيام بأنماط سلوكية معينة . وتوجد حكومات في المجتمعات المعقدة كهيئات للضبط الاجتماعي في مقابل أشكال الضبط غير الرسمية والتقليدية في المجتمعات البسيطة أو غير المتمدنة . إن الحكومة نظام إدارة الدولة أو أداة السلطة الشعب وتصريف وتوجيه جهوده وتنظيمها وضبط سلوك أفرادها وجماعاته عن طريق القوانين التي يضعها صاحب السلطة في الجماعة . ويتولى تنفيذها مستعينا بالقوة المادية عند الاقتضاء . وتطلق في المصطلح السياسي مجموع الهيئات الحاكمة في الدولة ، فتشمل بذلك السلطات الثلاث التشريعية والتنفيذية والقضائية . كما تستعمل بمعنى أقل شمولاً وهو السلطة التنفيذية وحدها . والحكومات فيما يتعلق بالتمييز بين وظيفتي الدولة التشريعية والتنفيذية تتخذ أشكالاً ثلاثة : نظام اندماج السلطات أو الحكومة الرئاسية ، (5) .

وعلي الرغم من الدور الكبير الذي تلعبه الحكومة في إدارة شؤون الدولة أي دولة فـ " ثورو " يرى أن الأمريكية برجماتية ، حكومة تبحث عن منفعتها ، حكومة قد تحيد عن تحقيق إرادة الشعب : **The will of the people** ، وإذا كان الأمر كذلك إلا أنه ليس بالضرورة أنه ينطبق علي كل الحكومات . يقول عن حكومته الأمريكية : " ليست ، غير وسيلة يتذع بها إلى حين تيسيرا

، وكل الحكومات أحيانا لا يبسد .

مة ضد جيش

— وهي عديدة وذات وزن وتستحق أن تعمم — قد تقدم أيضا .

فالجيش القائم ما هو إلا ذراع للحكومة القائمة . والحكومة نفسها ، التي هي الكيفية الوحيدة التي اختارها الناس لإعمال إرادتهم ضة بالمقدار نفسه للشطط في يستطيع الناس العمل من خلالها . " (6)

ويستشهد " ثورو " الأمريكية المنتخبة من قبل الشعب ، الذي يريد من هذه الحكومة أن تعبر عن آماله وطموحاته ، لكنها ورطت الشعب الأمريكي 1846 مع دولة المكسيك المجاورة لأمريكا . فهذه الحرب دخلتها الحكومة الأمريكية بتحريض من أفراد يستخدمون الحكومة لتحقيق أطماعهم . هذه الحرب ما وافق الشعب عليها .

" المكسيكية الأمريكية (1846 - 1848) . حرب اندلعت بين الولايات المتحدة الأمريكية والمكسيك نتيجة خلافات تراكمت لمدة عقدين من الزمان . " 1835 على الحكومة المكسيكية وأعلنت جمهورية تكساس 1836 . وبعد أن صارت تكساس إحدى ولايات الولايات المتحدة الأمريكية تكون حدودها الجنوبية الغربية عند نهر ريو جران ، ولكن المكسيك رفضت ذلك الطلب ورفضت كذلك دفع التعويضات للمواطنين الأمريكيين U.S. citizens

الحكومة الأمريكية بأن الحدود الجنوبية لتكساس كانت ريو جراندي التي أبقنتها المكسيك نهر نيو سز . الكونغرس الأمريكي 13 مايو 1846 المكسيك 23 مايو .

انتهى عملياً في 1847 وينفيلد سكوت وقواته المكسيك . قامت قوات الولايات المتحدة بغزو المكسيك واحتلت مدينة المكسيك (مكسيكو سيتي) معاهدة جوادالوبي هيدالجو ، اشترت الولايات المتحدة من المكسيك

: إلنورنيا ونيفاذا ويوتا أريزونا ونيومكسيكو وويومينج . ولكن كثير رخين يعتقدون أن الحرب كانت هجوماً غير على دولة ضعيفة . " (7)

نستفيد من ذلك أن الحكومة الأمريكية قامت بعملية سلب ونهب لأرض المكسيك وتوسعت حساب هذه الدولة المجاورة لها رغم أنها دفع المال مقابل هذه الأراض المكسيك وافقت هذه الصفقة المشبوهة تحت تهديد السلاح . الأمريكية تمارس القرصنة والسلب والنهب في صور جديدة - سبيل المثال لا الحصر -

من استعمار للعراق وما صاحبه من عمليات سلب ونهب بعد احتلال الجيش الأمريكي له
2003 .

وهذا الاعتراض حرب أمريكا ضد المكسيك من قبل " ثورو " كرره من بعده كثير
من الفلاسفة والمفكرين والأدباء والشعراء . فالفيلسوف ا " :
Jean-Paul Sartre (1905 – 1980) أبدي رفضه ومقته لاستعمار وطنه
لدولة مجاورة لها هي الجزائر . فكتب سارتر مؤلفه " عارنا في الجزائر " ليعبر فيه عن خطر
هذا الاستعمار ليس فرنسا نفسها . يقول : " هذا ما أود أن
عليه فيما يتعلق بالجزائر ، التي هي مع الأسف العميق أبلغ مثال وأبرزه للنظام
– يقصد الفرنسي - . أريد أن أوقفكم قسوة هذا النظام الذي لا بد أن ينتهي
هذه النهاية المفجعة . وكيف أن أخلص النيات إذا ولدت وترعرعت في داخل هذه الدوائر
الجهنمية استحال فساد مجسم .. فليس هناك مستعمرون صالحون وآخرون طالحون ؟ بل
هناك مستعمرون فحسب .. ونحن إذا ما عرفنا ذلك حق المعرفة أدركنا من فورنا لماذا كان
الجزائريون ق في هجومهم بناء هذا النظام الاقتصادي والاجتماعي والسياسي ،
وكيف أن تحريرهم بل تحرير فرنسا ذاتها لن يتحقق إلا إذا قضي
" (8) .

ويصف " ثورو " هذا النوع من الحكومة البرجماتية ، التي تبحث عن مصلحة تلة من
الأفراد كما يأتي :

- ير نفسها لمن يأتي بعدها أنها كاملة ، ولكنها رغم ذلك الزيف تفقد كل
ي من كرامتها .
- ليس لها حيوية ولا قوة فرد من أفراد
يطوعها لمصلحته .
- الرغم من ضرورتها إلا أنها في نظر الشعب نموذج
حكومة ضعيفة لا تستطيع تلبية مطالب الجماهير أما
تدعمها .
- أن يبحث عن وسيلة ناجعة يوصل بها صوته لهذه
هذا الشعب .
- ما لم تكون هذه المبادرة ترمي تحقيق أهداف
الأفراد الذين يدعمون هذه الحكومة .

- لا تهتم بالحفاظ حرية الدولة ، ولا ساهم تهدف تربية الجماهير .
- لم تقدم إنجازا حقيقيا للشعب الأمريكي بل الشعب هو للدولة الأمريكية ، وكان من الممكن تحقيق مزيد من الانجازات لولا العراقي التي تضعها أما هذا الشعب .
- يشبه هذه الحكومة بجماعة من الأشقياء الذين يضعون العراقي أمام قضبان السكك الحديدية ، وهذا يدل أن هذه الحكومة تقف منحازة لمجموعة من الأفرا مصلحة الجماهير
- هذه يجب أن ترحل وتأتي حكومة أفضل (9) .

المطلب الثاني : طبيعة حكم الأغلبية :

ينادي " " بحكومة أغلبية : majority government الأقلية Minority government التي تحقق أطماع جماعة من الأفراد ، و يري أن حكومة الأغلبية أو الأكثرية أفضل من حكومة الأقلية البرجماتية التي تبحث عن مصالحها الجماهير . يقول : " ، إذا ما آل السلطان إلى أيدي الجماهير ، في السماح للأكثرية بالحكم ، وبالاستمرار فيه لفترة طويلة ، ليس على الأغلب لأنها على ، ولا لأن هذا يبدو الأنصف في نظر الأقلية ، بل لأنها الأقوى . لكن حكومة تحكم فيها الأكثرية في كل الحالات لا يمكن أن تتأسد ، حتى في حدود فهم البشر له . " (10)

ن " ثورو " يقبل بحكم الأغلبية رغم أن الأغلبية لن تحكم بالعدل : Justice ، فهل ذلك يعني أن حكم الأغلبية من وجهة نظره لا يعني الديمقراطية : Democracy نشدها كل ! . وهل يعني أيضا أن " ثورو " مضطر لقبول حكم الأغلبية رغم أنها لن تعطي الأقليات حقوقها؟! . وهل ذلك يعني أن حكم الشعب - أي الديمقراطية - يشير " غرين " : Green - أي حكم الأغلبية - مقابل حكم الأقلية هو الديمقراطية بعينها ، و الرغم من ذلك فإن " غرين " يري أن هذا القول يعتريه الغموض كما يعترى مصطلح الديمقراطية الغموض أيضا . فإن " المحافظين في الولايات المتحدة

يعارضون برامج العمل الإيجابية باسم الديمقراطية - أي حكم الأغلبية . أما الليبراليون فيؤيدون البرامج نفسها باسم الديمقراطية - أي الحقوق المتساوية للأقليات " (11)

الديمقراطية الحقيقية
اتها الأكثرية والأقلية فلا يمكن " "
" الديمقراطية دون الاعتماد ميزان الأقلية والأكثرية ، صحيح أن الديمقراطية ليست نظام
%100 %99,99 بالمائة ، ولكنها نظام 1+50 في أبسط تجلياتها عن حكم الأكثرية
، ف " نصاب الثلثين " هو الميزان الحقيقي للأكثرية ؛ ولذلك تصدر أغلب القوانين والتعديلات
الدستورية والاستفتاءات بهذه النسبة لكي تعبر عن رأي الأكثرية في المجتمع . " (12)
الأغلبية مقبول من كل الجماهير لأنها تضع في حسابها احترام حقوق الأقلية ، وهذه هي
الديمقراطية الحقيقية . أما حكم الأقلية - أيا كانت صورها - وإن توشحت برداء الديمقراطية فهو
نظام حكم مرفوض لأنه لا ي حقوق الأغلبية . ولذلك يمكننا القول أن حكم الأغلبية نظام
حكم حقوقي مقابل حكم الأقلية فهو نظام حكم غير حقوقي . بعبارة أخرى حكم الأغلبية يقوم
إعطاء كل ذي حق حقه مقابل حكم الأقلية الذي يقوم إعطاء كل الحقوق للأقلية .
يعني حكم الأغلبية ين مقابل حكم الدكتاتورية أي الأقلية هو حكم أشخاص (13) .

يحكم : القانون أم الضمير (14) .

رأي " ثورو " في هذه القضية : من يحكم القانون : Law أو الضمير

Conscience :

والضمير .

: هو : و الشريعة ، والأصل ، ومقياس كل شيء . وهو أمر ك
ينطبق جميع جزئياته التي نتعرف أحكامنا منه . إنه
المجتمع السياسية والتجارية والجزائية وغيرها . ظاهرة اجتماعية ، إنه وسيلة هامة
من وسائل الضبط الاجتماعي . ويمثل القانون قمة التنظيم الاجتماعي للسلوك الإنساني حيث
يحدد صراحة ما يجب الفرد عمله وما يجب عليه الامتناع عنه . يضاف
القانون يحدد العقوبة التي تنزل بمن يخالف ما جاء به . هو الضابط الأكبر للحياة
الاجتماعية وضامن " تعايش الحريات " . مهمته تأمين النظام والسلام ، وتحقيق مزيد من
العدالة ، وهي فضيلة قوامها إعطاء كل فرد ما يستحقه . ويعكس القانون قواعد الأخلاق السائدة

في المجتمع . وهو ، إذ يتداخل ويتفاعل مع الأعراف
فإنه ، في بعض المجتمعات ، يرتبط ارتباطا وثيقا بالدين ...

هو في
تطور مستمر . إنه في الواقع ، يعكس علاقات القوي
وتدخل في عداد القوي الصانعة للقانون المصالح المادية ، والمبادئ الدينية والأخلاقيات ،
والأيديولوجيات ، والمأثورات والعادات ، والتأثيرات الخارجية ، بل العواطف في بعض
الأحيان ... ولما كان القانون تقنية من تقنيات تنظيم المجتمع ، فهو ليس حصريا وليس كل
فقد كان السفسطائيون : Sophistos (إبان نهاية القرن السادس وبداية القرن الخامس

، انطلاقا من الخلافات التي لاحظوها بين مختلف التشريعات ، قد خلصوا

يوجهه المشرع . فالتشريع - - هو ما يعبر عن القانون ، والقوة هي

: " " Socrates (399 - 469) . . " : "

- - " " Plato (347 - 428) . . " - -

... مفهوم القانون ، في مطلق الأحوال ، معرض للتبدل وللتغيير (15)

الضمير فهو شعور إنساني داخلي يجعل الإنسان يراقب أفعاله ويحاول أن يوجهها
الخير ويبعدها عن الشر . إنه استعداد نفسي به يدرك الإنسان الخير والشر ، ويمكنه التمييز
بينهما عليه يتكفي الإنسان في قبول شيء أو رفضه . إن الضمير خاصية يصدر بها الإنسان
القيم الأخلاقية لأعمال معينة ، وهو مصحوب

أخلاقية مباشرة قيمة بعض الأفعال الفردية . ويطلق أيضا

المرء إزاء سلوكه ، أ بما يترتب هذا السلوك من نتائج أدبية واجتماعية ، فإن تضمن
الضمير حكما أفعال المستقبل كان صوتا داخليا أمرا أو ناهيا ، وإن تضمن الضمير حكما
الأفعال الماضية كان مصحوبا باللذة أو الألم . أما اللذة فهي شعور بأنه أتى عملا صالحا
قرها وسلم بخيرها . وأما الألم فهو الشعور بالندم والتأنيب

والتبكي ، وهو ينشأ عن شعور الفاعل بأنه خالف ما يجب عليه فعله . وقد عني به الحدسيون
وعدوه قوة فطرية تدرك الخير والشر حدسيا من غير خبرة سابقة ، وأنكر الطبيعيون ذلك
ورجعوا به أخلاقية الأفعال بنتائجها (16) .

- أن الإنسان عاش منفردا ولم يعيش في جماعة .
- للإنسان حقوق يجب أن يطالب بها وليس عليه واجبات .
- حصر الثروات في يد ثلة من الناس .
- الصالح العام هو مجموع المصالح الفردية (18) .

وهذه الفردية المتطرفة من قبل " ثورو " تعني أنه يؤمن بالبرجماتية المتوحشة التي أسس لها " وليم جيمس " : William James (1842 – 1910) متأثرا بفردية " Protagora : " (420 – 490 . .) ومن هذا المنطلق يمكننا : ن " ثورو " هو البرجماتي وليس حكومة الأغلبية التي تسن القوانين التي يحتكم إليها المواطنون . تلك الأغلبية التي تحترم وتقدر وتضمن حقوق الأقليات ، وهذه هي الديمقراطية الحقيقية .

ويضرب " ثورو " الكارثية المترتبة الانصياع للقانون ، فالجيش الأمريكي جنوده وضباطه لا يعلمون أي منحدر سينقلبون بسبب تنفيذهم لقانون . يقول : " إن النتيجة الشائعة والطبيعية للاحترام المفرط للقانون هو احتمال رؤيتك رتلا من الجند – عقيدا ورائدا وعريفا وجنديا عاديا و غلام مدفعية وغيرهم – يمشون في نظام يبعث على الإعجاب ويقطعون التلال والوهاد إلى الحروب ، رغما عنهم – أجل ، ضد سلبقتهم وضميرهم – الأمر الذي يجعل مشيهم مشقة كبيرة فعلا ، ويسبب خفقانا في القلب . لا ريب عندهم أن الأمر الذي تورطوا فيه أمر بغيض ؛ لكنهم يذعنون له مستكينين . أما وهذه هي الحال ، ما يكون هؤلاء ؟ أهم بشر أصلا ؟ – أم هم حصون ومخازن ذخيرة صغيرة متحركة في خدمة رجل صاحب نفوذ لا يتورع عن شيء ؟ زر رحبة السفن ، فتملى جندي بحرية ، رجلا كالذي وحدها حكومة أمريكية بوسعها أن تصنعه ، أو ما يمكنها أن تصنع من رجل بسحرها الأسود – تجد مجرد ظل للإنسانية وذكرى منها ، رجلا معروضا حيا للفرجة وواقفا ، ومدفونا سلفا ، إذا جاز القول ، تحت الأسلحة مع الموكب الجنائزي ، مع أنه لم يسمع طبل ، ولا نغمة جنائزية ، ونحن نعجل بجثته إلى المتراس ؛ ما من جندي أطلق رصاصة وداع على القبر الذي ووري فيه بطلنا. " (19)

إن جنود وضباط الجيش الأمريكي عبارة عن مجموعة من الآلات والماكينات التي تدفع إلى الموت دفعا دون أن يبدو رأيهم بكل حرية في هذا الأمر ، إنهم يشبهون التماثيل ، إنهم قطع من

الصلصال تنفذ الأوامر التي تأتمر بها فحسب ، هؤلاء قيمتهم من قيمة العتاد أو الجماد الذي يستخدمونه ، إنهم لا يميزون بحسبهم الأخلاقي عما إذا كانوا يخدمون الدولة أم لا ، إنهم ينفذون الأوامر فحسب . وقلة هي من الصالحين والوطنين من يقاوم هذه الأوامر ، قلة ترفض أن تكون قطعة من الصلصال تأمر فتطيع . هؤلاء يرفضون أن يكونوا معاونين للسلطة : Power .

ويطرح " ثورو " سؤالا علينا مهما : كيف يتعامل كل مواطن مع هذه الحكومة ؟ . يقول : " أجيب بأنه لا يستطيع أن يكون على صلة بها بدون أن يجلله الخزي . لا أستطيع برهة واحدة أن أعترف بذلك التنظيم السياسي حكومة لي وهو حكومة العبيد أيضا . " (20)

ويزيد " ثورو " الأمر وضوحا مبينا مفهوم الاستعباد ، فمن الطيش أن نقول أن الاستعباد هو استرقاق العبيد فحسب ، بل أنه قد يمتد إلى استرقاق أحدنا نفسه . يقول : " وأني لأعجب أحيانا أن يبلغ بنا النزق حدا يكاد يجعلني أقول : إنا لا نعني من الاسترقاق إلا بالشكل الخشن منه ، ذلك الشكل الأجنبي البعيد عنا نوعا ما ، والذي نطلق عليه اسم استرقاق الزوج . فثم كثيرون من السادة المتحمسين الأذكياء يبلغ بهم الخطل والمكر أن يسرقوا الشمال والجنوب معا ، إنه لعسير على المرء منا أن يكون عليه رقيب من الجنوب يسيطر عليه ، وأسوأ من ذلك أن يكون هذا الرقيب من أهل الشمال ، وأسوأ من هذا وذاك أن تكون أنت نخاس نفسك تسترقها وتستعبدها . " وهكذا يعتبر " ثورو " استعباد المرء لنفسه من أسوأ صور الاستعباد حتى أنه أسوأ من استعباد الأمريكان للزوج (21) .

مما سبق يتضح أيضا أن الجنود والضباط الذي يعملون في الجيش الأمريكي لا قيمة لهم ، بل أنهم مجرد أدوات وآلات تأتمر بأوامر حكومة ظالمة يطلق عليها " ثورو " حكومة العبيد : Government slaves . ويمكن رد ذلك إلى العقيدة القتالية الخاصة بالجيش الأمريكي . (22)

وتظهر هذه العقيدة في الاحتلال الأمريكي للعراق ، فقد كان جيش الاحتلال الذي غزا - يضم

2003 م بقيادة أمريكا -

خمسين دولة في مقدمتها أمريكا ، وكان عدد الجنود الأمريكيين في هذا الغزو هو الأكبر كما وكيفا .

ويشير د. محمد أحمد النابلسي في مقاله " سيكولوجية الجندي الأمريكي في العراق " طبيعة الجندي الأمريكي والدوافع التي ه دفعا للانخراط في هذه الحرب . هؤلاء الجنود يوصفون في بلادهم أنهم فرق معدة العسكري وليس للحروب . ومناظرهم جميلة وكاملة التجهيز لكنهم غير مقاتلين . والكلام لجنرالات وكتاب أمريكيين .

أما عن العقيدة القتالية لهؤلاء فهي مستمدة من سيطرة مبدأ الرخاء مجتمعهم وهي عقيدة ربح . وهم يظنون بأن الآخرين لا يجروون قتلهم أو قتالهم . حدث فهم شديدا الثقة بتفوقهم العسكري التقني . الأمريكي في العراق يسير وهو يحمل معدات بقيمة 30 ألف دولار ليقاتل جائعاً لا يملك سوي سلاحه الخفيف .

يترسخ جنون العظمة هذا عند الجندي الأمريكي عبر تصريحات رسمية قالها أحده :

70 قتيلا 700 مدينة " العراقية

المظلومين يحول جنون العظمة للذات وقدراتها . فالجندي الأمريكي يريد الهروب من العراق . أن الحرب في العراق ليست رحلة صيد لقتل بعض البشر . مصيدة للقتل .

الجندي الأمريكي يتذكر اليوم ما سمعه من روايات عن حرب " فيتنام " ويتفهم سبب هروب الرئيس الأمريكي " مسؤوليه من تلك الحرب وهم يريدون بدورهم الهروب .

:

الوبائية بين الجنود الأمريكيين .

النيران الصديقة .

- تضخم السلوك الغريزي () .

- سيطرة الغرائز البدائية. ومن هنا تفجر الشذوذ الأخلاقية ذات الطابع الوحشي لدي الجندي الأمريكي .

- تنامي مخاوف الموت والرغبة في الهروب من العراق .

- الهروب من الخدمة بعضهم يسلم ويتزوج عراقيات ويختبئ .

- عدم الجهوزية القتالي .

- غياب العقيد الي الجندي الأمريكي حيث أن الجيش الأمريكي لا يملك عقيدة قتالي تدفعه للتضحية بحياته .

وهذه الوقائع يجب أن تثبت للأمريكيين أنهم يملكون جيشاً مؤذياً ومدمراً لكنهم لا يملكون بحال جيشاً مقاتلاً وليس أدل الرئيس الأمريكي " الصهيوني ودفع ثمنه المستحيل . المستميتة للهروب من العراق . الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين العربية الأمريكية ول الولايات رئيسة عصابة دولية يتحكم فيها الكيان الصهيوني الغاصب لفلسطين العربية الأمريكية (23) .

_____:

هكذا دولة من وجهة نظر " ثورو " لا يمكن ولأجل ذلك يعلن صراحة وبدون أدنى موارد أنه يرفض هذه الحكومة المتوحشة التي تدافع عن أقلية مغتصبة للسلطة ولا تعمل لصالح الجماهير ، وبيان هذا فيما يلي :

_____:

يؤشر " : John Locke (1704 – 1632)

تلمي مطالب وآمال جماهيرها . يقول : " أعتقد أن السلطة السياسية تتمثل في وضع القوانين التي تنص عقوبة الإعدام وجميع العقوبات الخفيفة الأخرى ، وتنظيم الملكي عليها ، واستخدام قوى المجتمع لتنفيذ هذه القوانين ، وحماية ثروة البلاد خطر خارجي ، وكل ذلك من أجل صالح الجمهور . " (24) هذا هو الدور الطبيعي حكومة منتخبة ديمقراطياً من قبل الجماهير . ولكن ماذا إذا انحرفت هذه الحكومة عن تلبية . هل يحق للجماهير الثورة هكذا حكومة دكتاتورية ومستبدة لا تلمي طموحاتها؟! . هذا السؤال طرحه أحد المشاركين في الفوران الجماهيري الذي حدث في تونس نهاية 2010 م بداية 2011 م ، والذي شارك ونظر لهذا الزلزال الجماهيري أثناء هذا الفوران وبعده . يقول عبد الرحمن النوضه : " هل يحق للشعب أن يغير النظام السياسي الذي يحكمه ؟ نعم ، لأن الغاية من وجود النظام السياسي هي خدمة الشعب ! فإذا انقلبت الأمور ، وغدي لخدمة النظام السياسي القائم ، أصبح حق الشعب أن يثور ، وأن يتحرر ، لإقامة نظام سياسي يكون في خدمة الشعب . " (25) وهذا ما يراه " ثورو " فالشعب أمام هذه الحكومة الدكتاتورية المستبدة التي تظلمه وتتهب خيراته ، وتفرض عليه ضرائب باهظة عليه

أن يتمرد : revolt ويثور عليها خاصة أن هذه الحكومة أعلنت الحرب دولة المكسيك الضعيفة . يقول : " البشر جميعاً يعترفون بحق الثورة في مقاومتها عندما يصير استبدالها أو تقصيرها عظيماً أو لا يطاق . " (26)

Inequality : وهذا نفس ما يراه " جون لوك " ، ففي معرض حديثه بين الجماهير ، يؤكد

يقول : " أما الرعايا الذين لا يملكون قانوناً غير إرادة سيدهم ، وهذا السيد لا يتبع سوى عواطفه وأهوائه ، فقد اختلفت مبادئ المساواة بالنسبة إليهم من جديد . وكان هذا بمثابة الرجوع بيعة جديدة تختلف عن الحال الأولى ، فذلك كانت في نقائها الأول ، أما هذه فنتيجة فساد ضرب أطنابه واستشرى . وهناك اختلاف بين الحاكمين في نواح يد الطغيان ، فالطاغية هو السيد الوحيد مادام هو الأقوى . فإذا جاء الانبعاث الشعبي ليضع نهاية لهذا السلطان فإنه يكون قانونياً وشرعياً ، فطالما كان يستند القوة وحدها ، فإن القوة أيضاً هي التي تلقى الحضيض . وهكذا تعود الأمور مجراها الطبيعي ، ومهما يكن من الآثار التي تختلف عن الثورات ، فليس لأحد أن يشكو من حكومة طاغية ومستبدة يعد عملاً قانونياً وشرعياً ، الخروج " (27)

هذه الحكومة يكون بالقوة طالما هي تستند في نهبها للسلطة . " يرى : حكومة ذلت طبيعة استبدادي واستبدالها بحكومة ديمقراطية يجب أن يكون بدون سفك دماء . يقول : " تكون الدولة حرة من الناحية السياسية إذا جعلت اتها السياسية بإمكان مواطنيها تغيير حكومة قائمة دون سفك دماء متى ما كانت الأغلبية " . " (28) ولكن واقع الثورات يختلف عن ما ير " .

هم من يعارض الإصلاح .

نشير إلي " " المعارض لأيديولوجيات أصحاب رؤوس الأموال البرجماتية يجب أن نعرض الخارجية الأمريكية ، وفي مواقع إلكترونية أخرى ، كثيراً من المعلومات عن الاستقلال الأمريكي عن الاحتلال البريطاني . نوجز هنا ما ورد في هذه المواقع عن ما فعله الأمريكيون

ضد الاحتلال البريطاني حتى يحصلوا على الاستقلال . لقد الأوروبيون الأراضي الأميركية على أنها " العالم الجديد " الية من الهجرة
يها منذ اكتشافها " كريستوفر كولمبوس " : Christophorus Columbus (1451 – 1506) ، وكان أكثر المتوافدين على هذه البلاد الجديدة الإنجليز الذين دخلوا في معارك شديدة قضا فيها على " الهنود الحمر " الأصليين للبلاد في مذابح مازالت تمثل عاراً

ليز الذين غادروا الوطن الأم إلى أميركا الوطن البديل
ليزية ، بحثاً عن حياة أفضل وأكثر ثراء وحرية لم تكن لديهم رغبة
ببلادهم التي جاؤوا منها الصدام بين المهاجرين وبريطانيا محتما والثورة
... الثورة الأميركية لتخرج من رحمها دولة قوية وإمبراطورية مهيمنة على

بدأت إرهابات الثورة عندما خرجت إذ (1756 –
1763) بعد أن تمكنت من هزيمة فرنسا وطردها من مستعمراتها في العالم الجديد ، وهو ما اعترفت به فرنسا في معاهدة باريس 1763 ، وتحول المحيط الأطلسي بحيرة إذ ليزية بامتياز... عندها قررت رفع سقف المعونات العسكرية والمالي المستعمرات البريطانية ، وهو ما أثار حالة من الاستياء ضد السياسة الملكية المستبدة .
" (1760-1820) الي وهو يحاول تدعيم السلطة المركزية في أرجاء الإمبراطورية . وكان طبيعياً أن يزيد من حجم القوانين التي تقيد المستعمرات البريطانية في أميركا الشمالي .

الاستياء العام ضد الإدارة المركزية في لندن
جهة . أجبر كل من يريد التجارة مع الهنود من المستوطنين
على أن يحصلوا صة من السلطات البريطانية
الهنود...

غضبهم وقاموا بالتوسع غرباً متجاوزين الحد الفاصل الذي عينته الإدارة البريطانية ، فلم تكسب لندن من هذا القانون إلا المزيد من العداوة مع المستوطنين .

صاد بريطانيا في حاجة إلى موارد جديدة لم يجد رجال الاقتصاد

لاج سريع للأزمة التي ضربت ميزاني

أول هذه القوانين قانون السكر 1764 ضى بعدم استيراد

لمناطق الواقعة تحت السيطرة ليزية ثم فرضت الضرائب على العسل والنبيد والحريير والبن والعديد من المنتجات ، فيما قررت السلطات البريطانية التشدد في تنفيذ هذه الإجراءات الية ومكافحة أعمال التهريب . كما أن القانون جاء في صيغة يفهم منها أن الهدف منه ليس منها الضرائب والرسوم ، وهو ما

جعلهم يشعرون بأنهم مواطنون من الدرجة الثانية .

يضاف إلى ذلك قانون العملة الذي سلب الصفة القانونية للأوراق المالي

الذي طبق على المستعمرات كلها وهو أشبه بقانون التجنيد

أثار المتضررون ضجة كبيرة مضادة لذلك القانون أثرت في الرأي العام الرفض

لسياسة التدخل البريطاني في شؤون المستعمرات ، وأخذت ولاية فرجينيا زمام

رفض هذا القانون . : Massachusetts حذوها

مجلسها التشريعي قاعدة قانونية مهمة في تاريخ الولايات المتحدة الأميركية عندما قرر أنه ليس

البريطاني فرض أ ضرائب على المستعمرات لأنها غير ممثلة في برلمان

ضريبة دون تمثيل .

على نفسها اسم " أبناء الحرية " وأخذت تدعو لمقاومة الضرائب الجديدة بشكل منظم

بأعمال التهديد وحرق هذه الطوابع وأجبروا موظفي الطوابع على

أول مواجهة لهم مع بريطانيا العظمى ، وهي

حقيقي لكنها فاقت في نتائجها معارك البارود بقوتهم وتأكدوا من ضعف

الحكومة البريطانية أمام قدرتهم الاقتصادية المتصاعدة التي أجبرت التجار البريطانيين على

الثورة من قبل المستوطنين مسألة

وقت ليس أكثر . في حين اعتبرت بريطانيا أن الجولة الأولى قد انتهت فقط وأن هناك العديد من

الجولات التي ستنتهي بضرورة إخضاع جميع ، لذلك وبين انتشاء
المستوطنين بانتصارهم ورغبة بريطانيا ف المزيد من القيود كان لابد من الصدام من جديد .

رئاسة الوزراء في بريطانيا تنفيذ سياسة الملك الهادفة لإخضاع المستعمرات
1767م أوامره لمستعمرة نيويورك بحل المجلس التشريعي فيها الذي
وكان يهدف إلى جعل تلك المستعمرة الصغيرة عبء لمن
يعتبر في بقية المستعمرات المجلس أيضا على استيراد المستعمرات الشاي
، على أن تستخدم حصيلة هذه الضرائب فع مرتبات الحكام والموظفين
ليز في المستعمرات ، كما أنشأ إدارة جديدة رك وأعطاه السلطة القانونية الكافية لمنع
عمليات التهريب . رفضت جميع المستعمرات القوانين الجديد الجماهير الغاضبة التي
يكن ينقصها الحماس إلا رجال الحامية البريطانية في بوسطن لتفريغ شحنة الغضب من
الإدارة البريطانية فهاجموا مقر الحامية د النار على المتظاهرين فسقط
من المتظاهرين في حين أصيب آخرون فيما عرف باسم " 5 " 1770 .

أمام هذا الرفض الشعبي وانخفاض صادرات بريطانيا إلى المستعمرات الأميركية
، تراجع البرلمان البريطاني وألغى ضرائب ضريبة

لكن تيار الاستقلال كان يشتد تحت سطح العلاقات الهادئة
سبيل ضريبة الشاي الممثل الأخير لمبدأ حق البرلمان البريطاني في فرض الضرائب
وقد تجاوب الأميركيون جميعا مع دعوة ليزي وأقبلوا على شراء الشاي
المهرب من المستعمرات الهولندية لإظهار تحديهم صراحة لرغبة ملك بريطانيا في التدخل

: Boston Tea Party :

قررت الحكومة البريطانية من جانبها أن تعطي شركة الهند الشرقية في عام 1773 بيع الشاي في المستعمرات ، ولضرب حركة تهريب الشاي في المستعمرات الأمريكية عمدت إلى تخفيض سعر الشاي ليصبح أرخص من سعر الشاي المهرب وهو ما هدد الشاي المحلية بالتوقف ، وجعل تجار الشاي يعضبون من هذا الاحتكار الذي كان لصالح شركة بريطانية في الأساس ، وانضموا للناقمين على السياسة البريطانية استعمال القهوة والشوكولا بدلا من الشاي جاءت بها

ليزي على تفريغ حمولة شاي جاءت بها ثلاث سفن بادرت فرقة من الوطنيين متكرين بزى الهنود إلى دخول السفن وإلقاء حمولتها من الشاي في ، وكان ذلك في ليل 16 ديسمبر سنة 1773 ، وهي الحادثة المعروفة في التاريخ باسم " ، وهكذا المستعمرون الأميركيون بالقفاز في وجه الملك البريطاني الذي لم يطالب باسترجاع ، بل باسترجاع كرامته المهذرة في المقام .أثار هذا العمل العنيف موجة عارمة من الاستياء والغضب في البريطانية ، ولم يعد هناك مفر من المواجهة فالملك ومعه الحكومة والبرلمان أصبحوا . واتخذ الملك المزيد من الإجراءات العقابية ضد مستعمرة من أن تساهم هذه الإجراءات في إخضاع المستعمرات الأمريكية كما كان يأمل السياسيون في لندن إذا بها تؤدي إلى رفع راية العصيان بجانبها مختلف . أمام هذا التشدد من ففي ماساتشوستس بدأت تظهر عمليات المقاومة . فبادر الوطنيون إلى طرد حكام المستعمرات التابعين لبريطانيا واستلموا إدارة الأمور للدفاع عن بلدانهم .

10 مايو سنة 1775 المختلفة الجيش الصغير في بوسطن باعتباره جيشا أميركيا يخص كل المستعمرات عينوا لقيادته " على الجيش الموحد اسم " جيش القارة الأميركية " .

البريطانية فكان بإمكانها بمزيد من المرونة أن تستوعب مثل هذه التظاهرات بمزيد من التخفيف الضرائبي مع الاعتراف بالأشكال التنظيمية التي بدأت تظهر في المستعمرات الطريق السهل وقرر قبول التحدي

المستعمرات الأميركية في حال عصيان في الوقت ذاته مق
 . وهو ما رد به الثوار بتنفيذ هجوم في ربيع 1776م على مدينة
 بوسطن بقيادة " نفسه أسفر عن تحرير المدينة وطرد القوات البريطانية منها .
 ولم يعد هناك ما يقال الثورة الأميركية على
 السيادة البريطانية وبدأت الأميركية (29) .

يستشهد " ثورو " بما جرى ماساتشوستس أن من يقاوم الإصلاح هم
 : أصحاب المصالح البرجماتية المتوحشة في مواجهة الجماهير
 ماساتشوستس عليها " حفلة شاي " . يقول : " ليس
 المعارضون للإصلاح في ماساتشوستس مئة ألف سياسي في الجنوب ، بل هم مئة ألف تاجر
 ومزارع هنا ، همهم التجارة والزراعة أكثر من الإنسانية ، وليسوا مستعدين لإنصاف العبد
 والمكسيك ، مهما كلف الأمر . لست على خصام مع الأعداء البعيدين ، بل مع القريبين في
 الوطن الذين يتعاونون مع أولئك البعيدين ويزيدون بهم ، القريدين الذين بدونهم يكون
 البعيدون مأموني الجانب . اعتدنا أن نقول بأن جمهور البشر ير مستعد ؛ غير أن التحسين
 بطيء لأن الصفوة ليسوا مادياً أوفر حكمة أو أفضل من الجمهور . فليس من الأهمية بمكان أن
 يعا الكثيرون خيرا ، بقدر ما يهم أن يوجد خير مطلق ما في مكان ما . " (30)

لقد عنون " بارنتي " الفصل الثالث من كتابه " ديمقراطية للقلة " بـ " ثقافة الطبقة الغنية
 الحاكمة المؤسسات والإيديولوجيات " ، وهذا العنوان يعبر عن هيمنة قلة من الأغنياء أو قل من
 الشركات الغنية الدولة الأميركية وهذا مركز في كل المؤسسات الحكومية والمدنية .
 ويعبر الكاتب عن ذلك في صدر هذا الفصل بقوله : " لا تمثل الرأسمالية الأمريكية مجرد نظام
 اقتصادي ، بل هي نظام ثقافي واجتماعي شامل . إنها حكومة أغنياء ، ونظام للحكم يمارسه
 الأغنياء في غالب الأحوال ويستهدف تحقيق مصلحتهم . ويتم تنظيم الجامعات ، ودور النشر ،
 لمجلات واسعة الانتشار ، والصحف ، ومحطات الإذاعة والتلفزيون ، والفرق الرياضية
 المحترفة ، والمؤسسات ، والكنائس ، والمتاحف الخاصة ، والمنظمات الخيرية والمستشفيات
 هيئة شركات كبرى تحكمها مجالس إدارة تتكون من مديرين أو أمناء أو أعضاء جهم
 . وتصدر هذه المجالس الأحكام النهائية فيما يخص الأمور المتعلقة بكل من

" (31) .

يؤكد " " أنه يوجد الكثيرون ممن يرفضون الرق والحرب ضد المكسيك منهم من يفعل شيئاً لإلغاء الرق الذي هو ضد الحرية وإيقاف الحرب العدوانية ضد دولة مجاورة .

: التصويت تلاعب بالحق والباطل .

يعد التصويت أمام صناديق الاقتراع أحد أدوات الديمقراطية ومظهر من مظاهر المشاركة السياسية ، المشاركة السياسية التي ترتبط بالوعي . فلا يمكن " أن يشارك سياسة وهو في حالة استرخاء ، فعلى الفرد الذي يدلي بصوته في الانتخابات التوقيع ابات وكتابة خطابات ، والتوجه إلى مكان الاقتراع فالفرد إما أن يدلي بصوته أو لا يدلي وإما أن يرسل خطاباً أو لا يرسل خطاباً ، وإما أن يذهب يذهب إلى مكان الاقتراع ، فالمواطنون يقومون بنشاط :
يدلون بأصواتهم على وعي بأنهم يدلون بأصواتهم وعي بعضويتهم ومن يقومون بالحملات الانتخابية وعي أنهم يقومون بحملات انتخابية ومن ثم يمكن اعتد أساس أن الأفراد لا بد أن يكونوا يقومون به سواء كانت هذه الأنشطة عقلانية أو لا ولكنها أنشطة واعية . " (32) المهم أن يشارك ويعبر عن رأيه في مشاركة سياسية حيث يشارك كل المواطنين والأهم أن المواطن ينبغي أن يكون وعي تام بما يقوم به .

على الرغم من ذلك فإن " ثورو " يرى أن المشاركة السياسية بالتصويت في الانتخابات غير حقيقية وغير واقعية . يقول : " كل تصويت فهو ضرب من اللعب به مسحة خفيفة من الأخلاق فهو تلاعب ، تلاعب بالمسائل الأخلاقية وهو يترافق بالطبع مع الرهان . تين ليس موضع رهان . لصالح ما أظنه حقا ؛ لكني لست معنياً حيويًا بأن يسود الحق . الأكثرية . لذا فإن التزامها لا يتعدى الالتزام بتيسير المصلحة . وحتى التصويت يفعل من أجله شيئاً . إنه تعبيرك للناس تعبيراً واهناً عن رغبتك في سيادته ، ليس إلا . الرجل الحكيم فلن يترك الحق لرحمة المصادفة ، كما لن يتمنى له أن يسود عبر سلطان الأكثرية . ليس في عمل جماهير البشر إلا القليل من الفضيلة . وإذا اتفق للأكثرية أن تصوت أخيراً ق فسيكون ذلك لأنهم غير مكترئين ، أو لأنه لم يبق إلا القليل من

الرق يلغيه تصويتهم . وإذ ذلك لن يكون من عبید سواهم . يؤكد بصوته على حریتة هو يستطيع صوته أن يعجب . " (33) .

التصويت في الانتخابات لا يؤدي حكومة رشيدة تقوم بتحقيق مطالب الجماهير وآمالهم ولا يقضي العبودية يحقق الحرية . هذه هي نظرة " ثورو " الديمقراطية الأمريكية أنها تخيب آمال الجماهير وطموحاتها . وهذا يتعارض مع ما تنشره وزارة الخارجية الأمريكية - سبيل المثال لا الحصر - حول لعبة الديمقراطية . فمن يطالع الصفحة الإلكترونية لوزارة الخارجية الأمريكية يجد أحاديث مطولة عن الديمقراطية ، أحاديث تمتدح الديمقراطية الأمريكية . ومن ذلك :

- حرة والمنصفة ضرورة أساسية للحصول على موافقة المحكومين التي ل بحد ذاتها حجر الأساس للسياسات الديمقراطية . ليد الرئيسية لترجمة تلك الموافقة إلى سلطة حكومية .
- الانتخابات الديمقراطية ليست مجرد عملية رمزية ... إنها انتخابات تنافسية دورية شمولية ، ونهائية ، يتم خلالها اختيار صانعي القرارات الرئيسيين في الحكومة من قبل مواطنين يتمتعون بحرية واسعة في انتقاد الحكومة ، وبنشر انتقاداتهم ، وتقديم البدائل .
- الانتخابات الديمقراطية دورية . تنتخب الأنظمة الديمقراطية حكما ديكتاتوريين أو ساء مدى الحياة . إذ يخضع المنتخبون للمساءلة من جانب الشعب ويجب يرجعوا إلى الناخبين في فترات محددة إما لضمان استمرار تفويضهم أو لمواجهة خطر خسارة مراكزهم من خلال نتائج التصويت .
- الانتخابات الديمقراطية نهائية. إنها تحدد قيادة الحكومة لفترة زمنية . يتولى ممثلون منتخبون شعبياً زمام الحكم ، ولا يكونون مجرد رؤساء صوريين رمزيين .
- الانتخابات الديمقراطية ليست ، في النهاية معركة للبقاء بل منافسة للخدمة .

إذا كانت الديمقراطية لا تحقق إرادة الجماهير أو أغلبية الشعب فهي مجرد خدعة كبيرة من قبل قلة ضئيلة لتستولي مقدرات الجماهير بتزييد وغيها . وإذا كان الأمر كذلك - وهو - من حق الجماهير أن تعلن التمرد والخروج هذه الحكومة المزيفة التي تعمل س الأموال وليس لصالح الجماهير ، وتوضيح ذلك في ما يلي :

المبحث الأول : المقاومة اللاعنفية ضد الدولة :

يرى " ثورو " أن المواطن الأمريكي أن يقاوم هذه الحكومة التي تكافح لتفسير مصالح الأغنياء وليس الجماهير ، عليه الخروج هذه الحكومة التي تسن قوانين جائرة لصالح الأغنياء . ويرى أيضا أن هذه الخروج والفوران الثوري من قبل الجماهير يجب أن يكون سلميا وليس عنيفا ، ويظهر ذلك علي النحو الآتي :

_____ : _____ عليها :

المواطن الأمريكي لا يكثرث بالمشاركة السياسية ، فهو يعتبر صوته الانتخابي لا قيمة له بل هذا الصوت يتساوي مع صوت الأجنبي أو مرتزق ، وهذا الإنسان اتك في كل ما يعن له في حياته اليومية . يقول : " ألا توفر أمريكا أي ترغيب للرجال لكي يستقروا هنا تضاعل الأمريكي حتى أمسى مخلوقا عجيبا - وقا يعرف من نمو عضو قطيعيته ومن نقص في عقله وفي اتكاله البهيج على النفس ؛ مخلوقا همه الأول والرئيسي لدى قدومه إلى العالم هو التأ ؛ همّه ، حتى قبل أن يرتدي زي يجمع التبرعات لدعم الأرامل الي المفترضين ، لا يغامر بالعيش إلا بمعونة شركة التأمين التعاونية التي وعدت أن تدفنه دفنا لائقا . " (35)

ويستطرد " " في حديثه معلنا أنه يجب كل مواطن أمريكي أن يغسل يديه - من كل باطل كائن داخل الدولة ، ولا يجب أن أدع مواطن آخر يقوم بذلك نيابة ترك له المجال هو الآخر لكي يسعى تحقيق مطالبه . إن أولئك الذين يدينون بالولاء للحكومة وينفذون أوامرها هم أنفسهم يصفقون لمن يرفض الذهاب

للحرب في المكسيك . يقول : " وهكذا فإنه تحت عنوان النظام والحكومة المدنية نرغم جميعا
لنهاية على تأدية فروض الولاء لخستنا وعلى تعزيزها . فبعد حياء المعصية الأولى
اللامبالاة بها ؛ وهذه منكرة تصير لا أخلاقية ، وليست غير ضرورية تماما
لتلك الحياة التي صنعناها . " (36) إن التناقض الذي يوجد في أمريكا بين الولاء للحكومة
وتنفيذ أوامرها ومقاومتها في ذات الوقت يستلزم من كل المواطنين حل هذه المشكلة لأن
عواقبها وخيمة . يقول : " وإدراك الحق وإحقاقه ، يغير في الأشياء
؛ وهو ثوري من حيث الجوهر ، ولا يتسق بالتمام مع أي شيء كان . إنه لا
يشطر الدول والكنايس وحسب ، بل والعائلات أيضاً ؛ لا بل ويشطر الفرد الشيطاني
فيه من الإلهي . " (37)

" هنتنغتون " : Samuel P. Huntington (1927 – 2008)

حديثه عن الأنظمة السياسية يطرح وجهة نظر مخالفة لوجهة نظر " ثورو " . فعندما يقسم
نظمة السياسية لأنظمة فاعلة وأخرى ضعيفة ، ويعد أمريكا من الأنظمة الفاعليـ بريطانيا
والاتحاد السوفيتي ، يرى أن أمريكا دولة ديمقراطية تعمل حكوماتها لتحقيق أهداف شعبها
يطيع شعبها وأوامر الحكومة .

إلا أنه يوجد في كل دولة منها " متحد سياسي فيه إجماع عارم من قبل الشعب
شرعية النظام السياسي . وفي كل دولة يشترك المواطنون وقادتهم في رؤية المصلحة
اليد والمبادئ التي يبني أساسها المتحد السياسي . في هذه الدول الثلاث
مؤسسات سياسية قوية و متكيفة و متماسكة : بيروقراطيات فاعلة ، وأحزاب سياسية حسنة
التنظيم ، و الية من المشاركة الشعبية في الشؤون العامة ، وأنظمة سارية من الرقابة
المدنية

من أجل تنظيم انتقال السلطة وضبط الصراع السياسي . هذه الحكومات ترعى ولاء مواطنيها
وهي فرض ضريبة الموارد ، وتجنيد القوة البشرية ، وتحديد
سياسة معينة وتنفيذها . وحين يتخذ المكتب السياسي ، أو مجلس الوزراء أو رئيس الجمهورية
قراراً ، فمن المرجح أن يتم تنفيذه من خلال آلية . " (38)

المطلب الثاني: الثورة السلمية ضد الدولة .

الحكومة ظالمة ، وقوانينها ظالمة عليها أو المطالبة بتغيرها . ويجب الحكومة أن تبادر وترجو الشعب أن ينيبها دائما ما تقع فيه من أخطاء تجاهه ، وعليها أيضا أن تقدم الخير للشعب قبل أن تطالبه بطاعة قوانينها . ولكن ذلك لا يحدث بل يحدث العكس فنجد الحكومة طبقا للقوانين تحكم لانتهاكه قانونا ما . وهذا ما حدث - - " George : " Washington (1732 - 1799) " فرانكلين روزفيلت " : Franklin Roosevelt (1882 - 1945) اتهمتهم الحكومة بالتمرد . رغم أن القوانين التي بها الحكومة هي السبب في تمردهم وتمرد غيرهم (39) . علي إنكار هذه القوانين فتلك هي الإساءة الوحيدة التي يمكننا أن نوجهها للحكومة .

وينبه " ثورو " كل مواطن أنه إذا نزل عليه ظلم من الحكومة فعليه تحمله كان هذا الظلم سيجعله سببا في ظلم مواطن آخر فيجب التمرد هذا القانون الجائر . يقول : " لكن إذا كان الظلم من طبيعة تتطلب منك أن تصير أداة ظلم لغيرك ؛ ولتكن حياتك احتكاكا مضادا . فما ينبغي أن أفعله هو التيقن : ني لا أشارك في الباطل الذي أدينه . " (40) بل ينبغي مواجهة هذا الباطل الذي تفرضه الحكومة الظالمة .

إن " ثورو " في ضوء كل ما سبق يعتبر دستور هـ حكومة دستورا شريرا ، و الجماهير أن تبذل والتمين في سبيل مقاومة دستور وقوانين هذه الحكومة الجائرة . هذه Slavery : هـ . و من يدعون أنهم ضد الرق والعبودية أن يسحبوا دعهم لهذه الحكومة ويكفيهم أن الإله سيكون في صفهم . فإذا رجل واحد فاضل وشريف اعتق عبدا عنده فهو يساهم في الانسحاب من شراكة حكومة ظالمة حتى وإن تعرض لاضطهاد الحكومة ، التي سنتهمه بمخالفة القانون وتعاقبه بالسجن . إن هذا الرجل الوحيد سيساهم - حتى لو كانت المساهمة صغيرة الحجم - في إلغاء العبودية في أمريكا (41) .

من يستقرى التاريخ يجد أن ثورة الأمريكيين عمار البريطاني صاحبها ثورة أخرى تنادي بإلغاء العبودية ، وبعد انتهاء الحرب مع البريطانيين استمر الأمريكيون في المطالبة بإلغاء العبودية . لقد تم تأسيس جمعية في فلادلفيا : Philadelphia 1775 لمناهضة العبودية ، وكان رئيسها " بنجامين فرانكلين " : Benjamin Franklin (1706 -

1790 م) ، أحد أهم وأبرز من ساهم في تأسيس الولايات المتحدة الأمريكية .
عاقته إنشاء فروع للجمعية في مدن أمريكية أخرى . وكان يقف في الجهة الأخرى بعض
الأمريكيين الذين يرفضون إلغاء العبودية .

الرغم من ذلك أصدر الكونجرس الأمريكي قانونا عام 1808 م يلغي تجارة العبيد
في عهد الرئيس الأمريكي " توماس جيفرسون " : Thomas Jefferson (1743 -
1826 م) المفكر والسياسي الأمريكي المشهور أحد الآباء المؤسسين للولايات المتحدة
الأمريكية ، وهو الرئيس الثالث لأمريكا . واستمر الأمريكيون في مناهضة العبودية
انتهت تجارة العبيد تماما وإن كان الأمر استغرق وقتا طويلا . ولا يرجع ذلك "
الاقتصادية القوية المرتبطة باقتصاد المزارع في الجنوب فقط ، ولكن
الشديد أيضا حيث كان العديد من أعضاء الكونغرس يمتلكون عبيدا . لم تكن الولايات المتحدة
هيكلًا قويا له تراثه المتين ولكن كانت مجرد فيدرالية حديثة وهشة مكونة من ا
ولايات ذات توترات ملحوظة في الحكم الذاتي . لذلك رأى الكثيرون في
الهجوم العبودية هجوما ... إذن كانت العبودية " سرطانا ضخما " في الجسد
الأمريكي . زادت الرغبة في الاحتفاظ بمجتمع موحد يخلو من الاختلافات الحادة في ال
المستوي الفيدر : "
" ت هناك محاولات لتجنب أي شكل من أشكال اختلاط الأجناس وكانوا يستبعدون أي
تحرير يمكن أن يؤدي تكوين طبقة من السود الأحرار . " (42)

السلمية ضد الدولة :

شريف وعادل معرض للسجن إذا خالف قوانين الدولة المارقة
مواطن من هذا النوع سار في الحياة وفقا لمبادئه وليس وفقا لمبادئ الدولة مصيره السجن . هذا
المواطن في السجن سيلتقي أمثاله من الشرفاء أمثال : الذين رفضوا دفع الضرائب للجابي -
موظف الدولة المسئول عن تحصيل الضرائب - ، ومن يدافع عن قانون إلغاء العبودية ، ومع
المواطن المكسيكي الذي أسر في الحرب ، والهندي الذي يدافع عن نفسه وعن أهله ضد
المواطنين الجدد . إن الدولة تحرم كل هؤلاء الشرفاء وأشباههم من كل حقوقهم ، فالأقلية -
نحو ما يصرح - حينما ترضخ للأكثرية تكون منزوعة القوة (43) .

ويطرح " ثورو " تعريفاً لكـ " ثورة السلمية " التي يجب أن يقوم بها المواطنون ضد هذه الحكومة الظالمة من خلال المثال الآتي : يقول : " هب أن ألف رجل استنكفوا عن دفع فواتير ضرائبهم هذا العام ، فهذا لن يكون إجراءً عنيفاً ودموياً ، كما سيكون فيما لو دفعوها . وهذا ، هو تعريف لامية

إذا أمكن أن توجد ثورة كهذه . " (44) 10 وهذا النوع من الثورة يتخذ أكثر من صورة كلها تؤشر أسلوب اللاتعاون الذي يتخذه المواطن تجاه الدولة . والثورة السلمية أو المقاومة اللاعنفية قام بها الإنسان في مختلف العصور والأزمنة والأماكن . ويشير ذلك جين شارب : " Gene Sharp " (1928 - ... م) فيلسوف المقاومة اللاعنفية الصهيوأمريكي بقوله أنه يوجد : " النضال اللاعنيف في العديد من الثقافات والحقب التاريخية والظروف السياسية المختلفة ، سواء كان هذا في الشرق أو الغرب من العالم أو في البلدان الصناعية أو البلدان غير الصناعية . ولقد طبقت وسائل اللاعنف في البلدان الديمقراطية وفي ام الإمبراطوريات واستخدمت أيضاً لمقاومة العدو الأجنبي والأنظمة الدكتاتورية . وقد استخدمت وسائل اللاعنف عن آلاف القضايا والجماعات وحتى من أجل تحقيق أهداف وقف العديد من الناس في وجهها . كما أنه تم استخدام اللاعنف لمنع أو لإحداث تغيير معين ، ولكن أحيانا ما استخدم العنف المحدود في مثل هذه الأعمال . تنوعت القضايا التي استخدمت فيها أساليب اللاعنف لتشمل القضايا الاجتماعية والاقتصادية والعرقية والوطنية والإنسانية والسياسية ، سواء كانت قضايا أساسية أو قضايا غير أساسية . " (45)

ويطرح " ثورو " صورة أخرى اللاتعاون الذي يمكن للمواطن أن يقوم به الحكومة الظالمة ، أن يتقدم المواطن باستقالته من وظيفته في الحكومة . يقول : " هم فعلاً : " فجوابي سيكون : " إذا أردت حقاً أن تفعل شيئاً من وظيفتك . " إذ عندما يرفض الفرد من الرعية الولاء ، ويستقيل الموظف من وظيفته . اقتراض أن الدم سوف يـ إلس ثمة نوع من سفك الدم عندما يجرح الضمير ؟ عبر هذا ، وينزف حتى الموت الأبدى . وإني لأرى هذا الدم ينز . " (46)

هكذا حال المواطنين في هكذا دولة فاسدة فإن المواطن الصالح الذي يقاوم هذه الحكومة الظالمة هو من يصير طن الطالح الذي يسعي وراء المال ليكون

الثروات ، ذلك المواطن الذي يتحالف مع هذه الحكومة الظالمة لكي تؤمن له ثرواته زيادتها . وهذا المواطن ينصحه " ثورو " أن يعود الفضيحة مرة أخرى .

_____:

إن الإنسان ولد حرا ، فجوهر حياته هو الحرية ، ولا يمكن أن تسلب حريته من قبل أي الإطلاق ، وأي حكومة تحاول أن تسلبه حريته الفردية عليه أن يتصدي لها ويقاومها . ولكن " ثورو " يؤشر أن بعض المواطنين لديهم نزعة للتخلي عن حريتهم للحكومة أي يميلون لمنح ولائهم للحكومة مقابل أن تحميهم الحكومة ، وبيان ذلك في المطالب التالية :

: استعداد المواطن للتخلي عن حريته للدولة مقابل حماية الدولة له .

مدنية الغربية مبادئ عدة منها : حقوق الإنسان ، الحرية ، والعدل ، والمساواة ، القانون ،،، الخ . وبالنسبة للحرية والقانون فهما من المقومات الرئيسة التي تقوم عليها هذه المدنية ، ويرى بعض الباحثين والدارسين أن الحرية تتعارض مع القانون وفي المقابل يرى آخرون أنهما متكاملان انفصام بينهما . الحرية والقانون مبدآن يقومان جوهر المدنية الغربية ، ويصوران الفرق بينها وبين غيرها من المدنيات التي سبقتها ، والتي ظهرت ، في بعض الأطوار ، كأنها تفوقها . فالحرية الفردية مصانة في إطار القانون الذي وافق عليه العقل الجمعي وعكس ذلك يعني الفوضوية : Anarchism وأن المجتمع يتحول .

الاعتقاد في القانون " بوصف أنه شيء ينبغي أن يطاع ، لا لأنه يمثل الإرادة المطلقة الصادرة عن سيد ، بشري أو قدسي ، له أن يعاقب الإخلال به ، بل لأنه يمثل ، بمعايير حقيقية ، الإرادة المنظمة والوعي الصادرين عن الجمعية ، ولأن الطاعة هي في غايتها لمصلحة الجمعية ومصصلحة الفرد معا . والقانون إذا تقررت سلطته هذا الوضع في جمعية ما ، ترتب ذلك نتائج ، مهما اعتورها من الغموض والنقص ، فإن من المستطاع إدراكها عند التطبيق ، في محيط كل جماعة من الجماعات ذوات الطابع الغربي . وتلك نتائج قلما طبقت ، أو هي لم تطبق ر علمنا بما بين أيدينا من المدونات ، في المدنيات غير الأوروبية التي قامت من فوق هذا السيار . أولي هذه النتائج هي أن القانون ، بما أنه ليس إرادة الأقوى ، بل محاولة الاقتراب ما أمكن من تطبيق العدل المجرد ، فهو إذن ليس بذلك الشيء الجامد الصلب الذي لا يتغير ، بل هو شيء قابل للنماء والتغير ، وإنه ينبغي أن يظل ناميا متغيرا ،

حتى يصل الغاية التي يأتلف فيها مع أرقى ما يتطلع إليه البشر من شريعة الآداب والفضائل . " (47)

يعني ذلك أنه يجب كل مواطن أن يطيع قوانين الدولة التي توفر له الحماية نفسه وأهله وممتلكاته . لكن " ثورو " يرى ، يري أن الحرية الفردية ، وهذا يعني أن " ثورو " لا ينادي بالحرية الفردية في إطار احترام حرية الآخرين بل ينادي بحرية فردية متطرفة قوامها إذا كانت الدولة تحميني فلا يعني ذلك أنني سأتنازل لها عن حريتي . ي : " كلما تحدثت مع أكثر جيراني تحراً ، أدركت أنه أيا ما قد يقولون في سعة المسألة وجديتها ، ومهما كان مبلغ اعتبارهم للأمان العام المسألة هو أنهم لا يستطيعون أن يستغنوا عن حماية الحكومة الحالي ، وهم يخشون عواقب عصيانها على أملاكهم وعائلاتهم . من جانبي لا أحبذ فكرة الاتكال أصلاً على حماية الدولة . لكني إذا تنكرت لسلطة الولاية عندما تقم لي كشفها الضريبي فإنها سرعان ما س على أملاكي كلها وتبدها ، وبذلك تتحرش بي وبأولادي بغير حد وهذا يشق . إن هذا يجعل من المتعذر على المرء أن يحيا حياة شريفة ، وفي الوقت نفسه مريحة ، من حيث الأمور ارجية . ولن يكون من المجدي كنز الأملاك من أن يتكرر . ينبغي ي ، ولا تزرع إلا محصولاً قليلاً تأكله سريعاً . ينبغي يك أن تحيا في دخيلة نفسك عن ساعدك الكثير من الأغراض . " (48)

يرفض " ثورو " الانصياع للدولة و يأبي أن يعيش في ظل حمايتها ويفضل عصيانها . يقول : " : فإلى أن أحتاج أن تشملني حماية ماساتشوستس وأنا في ثغر جنوبي بعيد ، حيث تتعرض حريتي للخطر م فقط على تعمير ضيعة لي في موطني بالمساعي السلمية ، يجوز لي أن أرفض البيعة لماساتشوستس ولحوقها على ملكي وحياتي . وإنه ليكفني أقل من كل الوجوه أن ي عصيان الدولة من أن أنصاع . ذلك أن أشعر وكأن قيمتي تضاءلت " (49) إن عصيان قوانين الدولة أفضل من حريتي الفردية مهما كلفني ذلك من عقاب من قبل قوانين الدولة .

لقد انقسمت الآراء حول قضية كون الإنسان ولد خيراً أم شريراً ؟ . مما استتبعه الاختلاف حول قضية أخرى : هل الإنسان يحتاج للقانون أم لا ؟ .

ففي الصين القديمة ، نجد في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة اسمها " المشرع " كانت تؤمن بأن الإنسان في الأصل ذو طبيعة شريرة ... وأن الطريق الخيرة التي يتصرف بها الإنسان ، سببها في الغالب تأثير البيئة الاجتماعية ، خاصة أعم الطقوس الدينية وضوابط قوانين العقوبات ، ومن بين المبادئ المقررة التي تؤمن بها المبدأ القائل " إن قانونا واحدا مقترنا بعقوبات شديدة لضمان تنفيذه ، أفضل من كل كلمات الحكماء لحفظ النظام " . وفي الحقبة ذاتها " shastra " في الهند أن الإنسان بطبعه عاطفي وجشع ، وأنه إذا ما ترك له العنان فإن العالم سيتحول " ورشة للشيطان " يسود فيها " منطق السمك " ، أي أن الكبير يأكل الصغير . ونجد نظيرا لهذه الآراء في مؤلفات عدد من كتاب أوروبا الغربية الحديثة . " ثم يسرد المؤلف آراء أعلام الفكر الغربي من هذه المسألة أمثال : " Jean Bodin (1530 – 1596) " " هوبز " : Thomas Hobbes (1697 – 1855) " " هيوم " : David Hume (1711 – 1776) فكلهم يؤكدون فوضويا وعنيفا وفضا وبدون حكومة وقانون لن يردعه رادع (50) .

إن قيام قوانين تنظم حياة المجتمع قضية لا تقبل المجادلة فإن " الاعتراف بأن نظاما يشتمل قواعد وقوانين حتى في أبسط أشكال المجتمع يبدو أمرا لا مفر منه . ففي أي مجتمع ، بدائيا كان أو متطورا ، من الضروري وجود قواعد وقوانين تحدد الشروط التي يستطيع الرجال والنساء أن يتزوجوا ويتعايشوا في ظلها . هناك قوانين تحكم علاقات العائلة ، وقوانين تحكم النشاطات الاقتصادية أو الصيد وقوانين تحرم الأفعال التي تضر بمصلحة العائلة أو القبيلة أو الجماعة بأسرها . " (51) يقوم أن كل فرد يفعل ما يراه حقا فكرة سفسطائية انتهازية وبغيضة ، فكرة جتمع لغابة يستولي فيها الأقوى مقدرات الضعيف مما سيتتبعه انهيار كامل للمجتمع .

المطلب الثاني : حريتي أهم من الخضوع لأوامر الدولة .

يري " " جوهر حياة الإنسان هي الحرية ، الحرية حتى لو كانت تخالف قوانين أن تكون حاکمة لحياتهم . ولذلك عندما أتاه جابي الضرائب رفض أن يدفع الضريبة للدولة ، فعوقب بالسجن وقضي في السجن ليلة واحدة لأن مواطن ما دفع عنه هذه الضريبة . وأثناء ذلك المشهد من بداية رفض دفع الضريبة والعودة لممارسة حياته اليومية . يروي لنا ما حدث بقوله : " "

ة الكنيسة وأمرتني بدفع مبلغ معي بل إعالة رجل دين كان أبي
على حضور مواعظه . : " .
" اللائق أن يدفعه . ما كنت لأفهم

لماذا ينبغي على ناظر المدرسة أن يؤدي الضريبة لإعالة الكاهن ، وليس العكس
، بل كنت أقوم بأودي من الهبات الطوعية . ما كنت لأفهم لماذا لا تقوم
المدرسة الثانوية بتقديم كشفها الضريبي وتكلف الدولة بدعم طلبها ، وكذلك الكنيسة . غير أنني
عند طلب اللجنة الناطرة في القضية : " ، هنري
الأشهاد أنني لا أود أن أعتبر عضوا في أية هيئة اجتماعية لم أنتسب
يها . " وهذا التصريح سلّمته إلى كاتب البلدة وهو في حوزته .
يها أنني لم أكن أود اعتباري عضوا في تلك الكنيسة عن مطالبتي بشيء مثل هذا
– وإن تكن قالت إنه ينبغي بها أن تتقيد بإجرائها الأصلي في تلك المرة . ولو كنت أستطيع أن
أحصي كافة الجمعيات بها قط لاستقلت منها جميعا على التفصيل
أعرف أين كنت أستطيع أن أجد قائمة مستوفية بها . " (52)

خرج " ثورو " من هذه التجربة ليكتشف أن السجن كان عبارة عن جدار يحول بينه وبين
أهل القرية التي يقطن فيها . وظهر له أيضا أنه يوجد جدار أكثر منعة وارتفاعا بينه وبين سكان
القرية جدار من المستحيل تسلقه للوصول الحرية التي يصبو إليها . لم يشعر للحظة أنه
جن ، ورأي جدران السجن بنيت هباء منثورا بأموال المواطنين . كانت الليل
جديدة وممتعة إلى حد كبير . وكل ما استطاعوا أن يفعلوه به هو معاقبة جسمه
يمكنها مواجهة عقلي وأخلاقي ومبادئ . فالدولة تفتقد الحكمة والصدق وتتمتع فحسب بالقوة
الجسمانية . نعم لن يستطيع أحد ما أن يكرهني فعل شيئا ما ، فأنا الأقوى ، وسأعيش
نحو ما أريد . إذا لم تستطع نبتة أن تحيا بحسب طبيعتها فإنها تموت –
من هذه التجربة أن الدولة " معتوهة " ، وأنها لا تستطيع تمييز بين أصدقائها وأعدائها . وم
المثير للانتباه في قضية القبض " ثورو " وإيداعه السجن وخروجه أنه عندما أغلق عليه
: " ... لم أملك إلا أن أبتسم لرؤية مبلغ اجتهادهم

... " (53)

هذا الموقف الذي يبديه " ثورو " من سجانيه حيث يقابل ظلمهم وحبسهم له بابتسامه ، هذا
الموقف من المرجح أن الأستاذ سيد قطب (1906 – 1966) يرحمه الله قد خبره في أمريكا

أثناء فترة إقامته بها 1948 – 1950 م . بل لعله أطلع على مؤلفات " ثورو " وأشباهه من المفكرين والأدباء الأمريكيين . " " من سجانيه يتشابه إلى حد كبير مع العبارة الإخوانية " حين إلقاء القبض يك.. ابتسم حتى يفقد الضابط لذة الانتصار" . هذه العبارة التي أرجعها أحد رجالات الأمن – وهذا يبدو في كثير من المواقع الإلكترونية للمجلات والصحف المصرية – (1906 – 1949 م) يرحمه الله . ولذلك – طبقا لتفسير –
تجد كل قيادات الإخوان عند القبض عليهم خاصة في الأونة الأخيرة بيتسمون طبقا لتعليمات الأستاذ حسن البنا يرحمه الله . قام الباحث بمراجعة مؤلفات الأستاذين حسن البنا وسيد قطب يرحمهما الله ومراجعة موقع " ويكي إخوان " المواقع الإلكترونية الأخرى ، وطالع كذلك كثيرا من المؤلفات التي كتبت عنهم خاصة " كتاب أمريكا من الداخل بمنظار سيد قطب " : تأليف : صلاح عبد الفتاح الخالدي ، دار المنارة ، وهو كتاب إلكتروني يقع في 112 صفحة .. لعل الباحث يجد أثرا لهذه المقولة في أحد هذه الكتب أو المواقع إلا أن لم يجد – على قدر طاقته – أثرا لها في كل هذه المؤلفات . ولقد تناول الكتاب والمفكرون والصحفيون – على نحو ما يرد في المواقع الإلكترونية - قضية صحة نسبة هذه المقولة لأحد الأستاذين يرحمهما الله ، فيوجد من ينسبها لأحدهما دون الآخر . ويرجح الباحث أن صاحب هذه المقولة هو الأستاذ سيد قطب يرحمه الله وليس الأستاذ حسن البنا يرحمه الله لأن الأول سافر إلى أمريكا وخبر مظاهر الحياة الروحية والمادية الأمريكية ، وكتب أيضا عنها كثيرا من المقالات وأورد كذلك كثيرا من المعلومات عنها في ثنايا مؤلفاته المختلفة (54) .

– قد واجه " ثورو " ظلم حكومته المعنوية –

ساخرة من هذا الفعل الصبياني . وكأن لسان حاله يقول لسجانه : أنت لن تنال من عزيمتي ، أنت لن تكسر إرادتي في المطالبة بحريتي ، أنت لم ولن تنتصر علي .

ويد " " هدفه ليس مقاومة الحكومة طريقته اللاعنافية بل إنه يريد –
أن يحل نفسه فحسب من بيعة هذه الحكومة . يقول : " لم أرفض قط دفع ضريبة الطريق العام لأنني لا أقل رغبة أن أكون جارا طيبا من أن أكون من الرعايا السيئين فإني أودي دوري لتربية أبناء وطني الآن . ولست أرفض دفع الكشف الضريبي بسبب بند معين وارد فيه . أود ببساطة رفض البيعة للولاية عنها بالفعل .

، اللهم إلا عندما يشتري رجلا بارودة يقت بها رجلا

- لكنني حريص على اقتفاء آثار بيعتي . والواقع أنني أعلن الحرب بهدوء على الولاية على طريقتي ، على الرغم من أنني سأدأب على استعمالها والاستفادة من أية ميزة لها ، كما جرت العادة في مثل هذه الحالات . " (55) يصرح هنا " ثورو " بأنه رغم أنه سيواجه هذه الحكومة الظالمة بطريقته الخاصة إلا أنه ستعامل معها ويحاول أن يستفيد منها ، وهذا تناقض سفسطائي صارخ وواضح فهو يثبت الشيء ونقيضه في آن واحد (56) .

ويناقش " ثورو " مسألة من يدفع له الضريبة الظالمة التي تفرضها الدولة مواطنيها بما فيهم " ثورو " نفسه ، فيرى " ثورو " أن من يدفع له تلك الضريبة الظالمة إذا كان يفعل ذلك تعاطفاً الدولة فهذا سيحض الدولة ممارسة مزيد من الظلم . أما إذا كان دافع هذه الضريبة الظالمة بهدف الحرص ممتلكات " ثورو " وللحيلولة دون سجنه . فذلك الموقف يعود أن من دفع الضريبة الظالمة لي لم يفعل ذلك من منطلق وحكمة كبيرة بل فعل ذلك بدافع مشاعر وانفعالات وعواطف لا تصب في الأخير في خير الجماهير عامة . ودفع الضريبة للآخرين مسألة مرفوضة من قبل " ثورو " بل أنه ينصح من يفعل ذلك أن يلتزم بفعل ما يخصه هو شخصياً فحسب في كل وقت وحين .

ومن الإجراءات السلمية التي يطالب " ثورو " بفعلها أيضاً : الامتناع عن التعامل مع هيئة البريد ووكالة الأخبار . يقول : " أما من جهتي فليس أيسر البريد برمتها . ففي رأيي أن قليلاً جداً من الأخبار الهامة يصد يديها . في حياتي سوى خطاب واحد أو خطابين - كتبت هذا من بضع سنين مضت - كانا جديرين بما عليهما من ثمن طوابع البريد . فنظام البريد الذي جعل قيمة إرسال الخطاب بنسأ واحداً - هو في العادة نظام يجعلك تقدم هذا البنس ، جادا غير مازح ، ثمناً لأفكار رجل واحد ، وهو البنس الذي يقدم عادة ، وفي أمان من قبيل المزاح والفكاهة . وإني لوأثق كل الوثوق أنني لم خبر ذي بال في جريدة ما

بيت احترق أو سفينة تحطمت أو باخرة انفجرت ، أو بقرة دهسها الق الحديدية أو أن كلباً مسعوراً قتل أو جماعات من الجنادب ظهرت في الشتاء - واحداً من هذه الأخبار لم نعد بحاجة أن نقرأ آخر ، فحسبنا مثل واحد منها . فمادمت قد ألف مثال ومثال لها ؟ أو ف تطبيق وتطبيق عليها فالأخبار ، في رأي أحد الفلاسفة كلها هذر ، وهراء في هراء وأن الذين يذيعونها ويقرؤونها

ليسوا سوي نسوة عجائز يتشدقنها ، وهن يتناولن الشاي . مع ذلك فكثيرون هم الذين يحرص كل الحرص فيما بينهم هذه الأخبار والأحاديث الجوفاء (57) .

ويطالب " ثورو " غيره من المواطنين أن لا يفعلوا ذلك وكذلك يصرح بأنه لن يفعل ذلك ، إن " ثورو " يطالب الآخرين بأن لا يعرضوا أنفسهم لقوة بهيمية وحشية . هذه القوة يراها قوة بشرية جزئيا .

نحو ما أري وفي المقابل أحتفظ لغيري بأن يفعلوا ما يشئون نحو ما يرون .
" الطيب a good Mussulman والجبري الطيب

بالأشياء على حالها ، وأقول بأنها إرادة الإله God and say it is the will .
وفوق ذلك كله ، هناك هذا الفارق بين مقاومة هذا ومقاومة قوة محض عجماء أو طبيعية المتمثل في أنني أستطيع أن أقاومه بشيء من الفعال ؛ إنما لا يمكنني أن أتوقع، مثل أورفيوس ، تغيير طبيعة الصخور والأشجار والبهائم . " (58 59) _يرفض " ثورو " موقف الإنسان المسلم ومن يؤمن بأن الإنسان مسير وليس مخيرا ، ولذلك هو يرى أن الحكومة ليست حتمية ضرورية بل ممكن تغييرها بالعصيان المدني . يخالف " أورفيوس : Orpheus يتصور أن كل شيء يتغير مثلما تغير موسيقاه كل ما حوله . ولكن " ثورو " يرى أن من حقه أن يواجه هذه الحكومة الظالمة ويقاومها فهي ليست قدرا ما بل هي غير ذلك تماما حيث أن مقاومتها من الممكن أن تؤدي صلاح أحوال الجماهير .

" " يذعن للحكومة الظالمة ولا يحرك ساكنا تجاه قوانينها الجائرة . هذا ليس له نصيب من الحقيقة فالإسلام يجيز خروج المسلم في مظاهرات :
Demonstrations : Protests : Ins : ولكن ذلك يكون وفقا لضوابط شرعية مستخرجة من القرآن الكريم والسنة الشريفة (60) .

لا يريد " ثورو " أن يناهض الحكومة ويعصياها من أجل المقاومة والعصيان في ذاتهما العكس هو لا يريد ذلك ، فهو يبحث عن حجة أية حجة يلتمس بها العذر للحكومة . يقول : " ، أن أقيم تمييزات دقيقة ، أو أضع نفسي في منزلة أحسن من منزلة جبراني .
عذر حتى للانصياع لقوانين البلاد . لا بل إنني أكثر من متأهب للانصياع لها .
ما يبهر لي الشك في نفسي في هذا الصدد يزورني جابي الضرائب

أجدني مستعداً لاستعراض أعمال ومواقف الحكومتين ، الحكومة العامة وحكومة الولاية
" (61) .

ولما لم يجد " ثورو " حجة واحدة تقنعه بالولاء لهذه الحكومة فهو يرى أنه من الضروري
عليه أن يعصياها ويقاوم قوانينها الظالمة . يقول : " غير أن الحكومة لا تهمني كثيراً
أخصص لها أقل ما يمكن من الخواطر . فالحلطات التي أحيا فيها تحت لواء حكومة ليست
كثيرة ، حتى في هذا العالم .
المخيد

يبدو أنه ملك له طويلاً
بين غير الحكماء لا يستطيعون حتماً
يمنعوه . " (62) هؤلاء الذين يمسكون بزمام هذه الحكومة ليسوا حكماء نحو ما تخيل
أفلاطون في مدينته الفاضلة ولذلك يري " ثورو " أن حرية الفردية أهم وأعلى
يحافظ عليها أمام حكومة جائرة تحارب الحرية الفردية لكل مواطن من مواطني الدولة .

يرى " ثورو " أن رجال الدولة منصهرون في الدولة إنهم يبحثون عن مصالح الدولة
التي تصب في مصالحهم الفردية ون يقف دائماً مع الحكومة لا يتخلى عنها ،
حقيقته ليس في الحقيقة ذاتها بل في التماسك والذريعة المتماسكة ، وكذلك
المدافع عن الدستور يفكر دائماً في التأييد الذي يقدمه الدستور للرق . تشريع القوانين يحتاج
لعبارة في التشريع لكنهم - - ياسيين فهم
كثير ، وهذا الصنف الأخير لا ينشغل بالبحث عن حلول ناجعة لما تمر به أمريكا من مشكلات .
وإذا كان الوضع كذلك فأين هو مشرع القوانين الذي يسترشد يمتلك الحكمة والموهبة العملية
اللازمين لكي ينتفع بالنور الذي يلقيه على العلم أو على التشريع ! .

_____:

يرى " ثور " إن المواطن إذا كان اتفق مع غيره من المواطنين في تدشين الدولة ، فمن حقه
أيضاً أن ينسلخ من هذه الدولة طالما أنها لا تلتزم العدل . لكل مواطن سلطة فردية خاصة به .
لذلك فلا يجب أن تتدخل الدولة في حياة الأفراد كما تشد (63) .
يوافق المواطن أن تدير هذه الحكومة شؤونهم . يقول : "

وع له - إذ إنني سوف أطيع مبهتجا أولئك الذين يعلمون
ويمكنوا أن يعملوا أحسن مني ، وفي أشياء كثيرة حتى الذين ليسوا يعلمون وليس بمقدورهم أن

يعملوا خيرا – مازالت سلطة غير طاهرة : يجب أن تحوز

المحكومين وموافقهم . " (64)

من هذا المنطلق يرى " ثورو " أن الحكومة ليس من حقها أن تستولي
ممتلكاتي إلا إذا تنازلت أنا لها عن ذلك بمحض إرادتي . " " .
الحكومة ليس من منطلق شخصي بل من أجل المجموع العام الذي تصب عليه الحكومة ظلمها
الفادح . ف " ثورو " في ثورته " يكن صادرا عن أذى لحق بشخصه أو ظلم أحاق بصالح
من صوالحه ، إنما كانت ثورته لما لحق غيره من صنوف الإجحاف ، كانت ثورته في سبيل
غيره ، كالزواج العبيد وكالهنود سكان البلاد الأصليين ، وإذن فالأذى قد أحسه في لذع ضميره
، كأنما هو لا يقصر واجب مقاومة الفرد لحكومته
مسا مباشرا ، بل يوسع من مداه . " (65)

وينتهي " ثورو " من الضروري التحول الملكية الخاصة وتقدير الفرد ، ويجب
ويتمني أن تكون الدولة كذلك .
يقول : " الملكية المطلقة إلى الملكية المحدودة ، ومن هذه إلى الديمقراطية ، هو
تقدم نحو احترام حقيقي للفرد . وحتى الفيلسوف الصيني كان من الحكمة بحيث اعتبر الفرد
أساس الإمبراطورية (66) . فهل الديمقراطية التي نعرفها تحسين ممكن في الحكم
أليد نخطو خطوة إلى الأمام نحو الاعتراف بحقوق الإنسان ونحو تنظيمها

منه قدرتها وسلطانها ، فتعامله على هذا الأساس . يلذ لي أن أتخيل دولة على الأقل تطبيق
، وتعامل الفرد باحترام كأنه جار ؛ دولة لا تجد حتى أنه من لا
يتناقض مع راحة بالها أن يتفق لثلة منهم أن يحيوا بمنأى عنها ، لا يخالطونها هم
وقد قاموا بواجباتهم كجيران وكرفاق بشر على التمام . إن دولة جادت بمثل هذه الثمرة
يها أن تسقط حال نضجها ، من شأنها أن تعبد الطريق لدولة أكمل منها وأمجد – دول تخيلاتها
هي الأخرى ، لكنني لم أرها بعد في أي . " (67) ويؤكد " ثورو "

تعلو فوق إرادة الدولة في روايته والذن . يقول : " ... وأعقل من ذلك ، الرجل الذي كثيرا ما
يجد نفسه في مواقف " معارضة شكلية " للأمر يقال عنها : نها أقدم واجبات المجتمع ،
وذلك عن طريق الطاعة لقوانين أقدم من هذه . وبذلك يكون قد اختبر مدي تصميمه ومضاء
عزيمته من دون أن يضطر أن يحيد عن الطريق الذي رسمه لحياته ؛ ليس للإنسان أن يقف

مثل هذا الموقف إزاء المجتمع وإِ علمه أن يحافظ نفسه ويستبقها عالي
يجد فيه من جراء خضوعه لقوانين كيانه ووجوده هو ، وهو موقف لا يتعارض مع أية حكومة
رشيدة عادلة ، إذا ما حدث وصادف حكومة من هذا القبيل . " (68)

كتب " ثورو " مقالته عن العصيان المدني عندما وجد الدولة تنحرف عن طريق العدل
بسبب الحرب غير الشرعية وغير الأخلاقية التي شنتها دولة المكسيك
الجارّة والضعيفة ، وكذلك بسبب موقف الحكومة المخزي في تعاطيها مع قضية العبيد وفي
معاملتها للهنود الحمر سكان البلاد الأصليين .

ويؤكد " ثورو " أن دولة يعيش فيها المواطنون نحو بسيط يعني أن لا يؤدي
طالب الحكومة أن تكف عن عقاب المواطنين من خلال ما تسن
من قوانين ظالمة . يقول : " وفي يقيني أن الناس لو عاشوا جميعا عيشة بسيطة مثل تلك التي
كنت أعيشها وقتئذ - يقصد في غابة والدين - ، لاخنتقت السرقة وزال النهب . فهما لا يحدثان
إلا في المجتمعات التي يكون فيها عند بعض الناس أكثر ما يكفيهم ، وعند البعض الآخر ما لا
يكفيهم ... فأنتم يا من في أيديكم تصريف الشؤون العامة ، ما حاجت
أحبوا الفضيلة يصبح الناس فضلاء ، فضائل الرجل العظيم كالريح ، فضائل الرجل العادي
كالعشب ، والعشب ينحني ويميل إذا ما هبت عليهم الريح . " (69)

يبدو واضحا من كل ما سبق أنه علي الرغم من اعتراضنا علي كثير من أفكاره وآراء "
ثورو " إلا أنه يعد من المؤسسين للمقاومة اللاعنفية في وقتنا الحاضر ، فقد تأثر بفكره
سوا المقاومة اللاعنفية من بعده . وفي مقدمة هؤلاء الفيلسوف
الأمريكي " شارب " الذي استفاض في التنظير لفلسفة المقاومة اللاعنفية من خلال مؤلفاته
المنتشرة علي " الشبكة العنكبوتية " ومن خلال مركزه المسمي بـ " مركز ألبرت أينشتاين " .
ويعد نفر كبير من الباحثين والدراسيين والممارسين عنفية " شارب " الأب
مظاهرات والاعتصامات والعصيان المدني بكل صورته ليس في العالم العربي فحسب
بل في كثير من أرجاء المعمورة .

تعقيب

1 - ينتمي " ثورو " إلى نظرية الفلسفة المتعالية ، التي طبقها أيضا علي الأرض . اهتم كذلك كثيرا بقضية فردانية الإنسان . وتعد مقالته عن " العصيان المدني " تعبيراً صادقاً عن ما يزعمه من فردانية شخصية . هذه المقالة تظهر لنا مدى إخلاصه لفرديته الشخصية ، وتبين أيضا مقاومته اللاعنافية لقوانين الدولة الأمريكية الظالمة . ولقد استفاد من مقاومته اللاعنافية كثيرون داخل أمريكا وخارجها .

2 - يري " ثورو " أن الوظيفة المثلي للحكومة أن لا تحكم مطلقا ، فهذه الحكومة الأمريكية التي ورطت الشعب الأمريكي في الحرب المكسيكية أن يكون له ناقة ولا جمل في هذه الحرب ، فهذه الحكومة تهدف إلى تحقيق مصالح قلة من الأغنياء فحسب ولا تعباً بالأكثرية الكبيرة من الشعب الأمريكي ، هذه الحكومة ينبغي أن ترحل ويحيل محلها حكومة تخدم جماهير الشعب الأمريكي .

3 - علي الرغم من العيوب التي تكتنف حكومة الأغلبية إلا أن " ثورو " يقبل بها . وإذا ك القانون قوة ضبط خارجية مقابل الضمير قوة ضبط داخلية إلا أن " ثورو " يري أن الضمير يجب أن يحكم وليس القانون . ويرى أيضا أنه من حقه أن يفعل ما يري أنه حقا .

4 - يرفض " ثورو " الولاء للحكومة ، تلك الحكومة المتوحشة التي تسعى لتحقيق مصالح قلة من الأغنياء علي حساب مصالح الجماهير . هذه الحكومة الظالمة غير الديمقراطية ، التي تستعبد الجماهير ولا تساوي بينهم ولا تراعي حقوق الإنسان وغيرها من المصائب التي تتسبب فيها للجماهير ينبغي الثورة عليها .

5 - الرغم من أن التصويت في الانتخابات مظهر من مظاهر الديمقراطية عند " ثورو " إلا أنه لا يصل في النهاية إلى حكومة تعمل من أجل الجماهير .

6 - اللاعنافية وليس المقاومة العنيفة ، فالتمرد الدولة يكون من خلال عدم التعاون معها . عدم التعاون مع الدولة يكون بعد مبادرة فردية بعثت العبيد والاستقالة من الوظيفة الحكومية ، والامتناع عن

7 - جوهر حياة الإنسان هو حريته الشخصية ، ومن الضروري أن يدافع كل مواطن عن حريته الشخصية أمام قوانين الحكومة الظالمة . إن " ثورو " يرفض أن يتنازل عن حريته للدولة مقابل أن توفر له الحماية الشخصية . ويفضل أيضا حريته الشخصية علي الانصياع لقوانين . عندما مارس تمرده اللاعنفي علي قوانين الدولة من خلال عدم دفع الضرائب المستحقة عليه حبسته الدولة .

8 - حاول " ثورو " أن يبحث عن حجة للدولة أي حجة لكي يلتمس لها أي عذر إلا أنه لم يجد ، لذلك قرر أن يعصاها ويتمرد عليها . ولما كان الفرد أو المواطن هو حجر ية في الدولة برمتها يري " أن الدولة يجب أن تعترف بسلطة أعلي من سلطتها وهي سلطة الفرد .

العصيان المدني

هنري د. ثورو

ترجمة: ديمتري أفبيرينوس وموسى

ما فتنتُ أقبُلُ عن حماسة مبدأ: "خيرُ الحكومة ما حَكَمَ أقلُّ"؛ ووددت لو أني رأيتَه معمولاً به على نحو أسرع وأكثر منهجية. فبإنفاذه يؤول أخيراً إلى المقولة التالية التي أومن بها هي الأخرى: "خير الحكومة ما لا يحكم إطلاقاً." وعندما يكون البشر مستعدين له الحكومة الذي سيحصلون عليه. ليست الحكومة، في أحسن الأحوال، غير وسيلة يُتذَرَعُ بها إلى حين تيسيراً للمصلحة؛ لكن معظم الحكومات عادة، وكل الحكومات أحياناً، لا ييسر المصلحة. والاعتراضات المقدّمة ضد جيش قائم – وهي عديدة وذات وزن وتستحق أن تعمم – أيضاً في المال ضد حكومة قائمة. فالجيش القائم ما هو إلا ذراع للحكومة القائمة. والحكومة نفسها، التي هي الكيفية الوحيدة التي اختارها الناس لإعمال إرادتهم، معرّضة بالمقدار نفسه للشطط في الاستعمال وللشذوذ قبل أن يستطيع الناس العمل من خلالها. دونكم مثلاً المكسيكية الحالية، بما هي فعلة بضعة أفراد يستخدمون الحكومة القائمة أداة لهم؛ إذ إن الناس، في المال، ما كانوا ليوافقوا على هذا الإجراء.

هذه الحكومة الأمريكية، ما هي إن لم تكن تقليدياً – وإن يكن حديثاً – يسعى إلى نقل نفسه غير منقوص إلى الأخلاف، لكنه يفقد كل لحظة شيئاً من كرامته؟ ليست لها حيوية رجل فرد حي ولا قوته؛ إذ إن بوسع رجل فرد أن يجعلها طوع بنانه. إنها، في نظر الجماهير نفسها، ضر السلاح الخشبي. لكن هذا لا ينتقص من ضرورتها؛ إذ إن على الجماهير أن تملك نوعاً ما من الآلة المعقدة، وتسمع ضوضاءها، من أجل أن تلبّي فكرتها عن الحكم. وبذلك تبرهن الحكومات إلى أيّ حدّ بوسع البشر أن تُفرض عليهم أمورٌ، بل حتى أن يفرضوها على أنفسهم، من مصلحتهم. ويجب علينا جميعاً أن نقرّ بأن هذا ممتاز. غير أن هذه الحكومة لم تدعم قط من تلقاء نفسها أية مبادرة إلا بمقدار ما لم تعرقل سيرها. إنها لا تهتم بصون حرية البلاد؛ لا يهمها أن تتسوّي أمور الغرب؛ لا يهمها أن تربّي. فالطبع الذي فُطِرَ عليه الشعب الأمريكي هو الذي قام بكل ما تمّ إنجازه؛ ولعله كان سيفعل المزيد نوعاً ما لو أن الحكومة لم تعرقل سيره في بعض

الأحيان. ذلك أن الحكومة وسيلة يتذرّع بها البشر طوعاً للنجاح في ترك واحد منهم الآخر وشأنه. وكما قيل، عندما تكون الحكومة هذه الوسيلة على أتمّ وجه فإن المحكومين يُتركون وشأنهم على أتمّ وجه كذلك. فلو لم تكن المقايضة والتجارة في مرونة المطاط لما أفلحتنا في تخطّي العقبات التي ما انفك المشرّعون يضعونها في طريقهما. ولو كان لنا أن ندين هؤلاء الرجال كلياً بنتائج أفعالهم، وليس جزئياً بنواياهم، لاستحقوا أن يصنّفوا مع أولئك الأشخاص الأشقياء الذين يضعون العوائق على الطرق السككية.

أما إذا شئت أن أتكلّم عملياً وكمواطن، على غير ما يفعل أولئك الذين يلقبون أنفسهم بالفوضويين، فإني لا أطلب على الفور بزوال الحكومة، بل على الفور بحكومة أفضل. فليجهر الذي يستأهل احترامه، فتكون هذه خطوة أولى باتجاه الحصول عليها.

إن السبب العملي، بعد كل اعتبار، إذا ما آل السلطان إلى أيدي الجماهير، في السماح للأكثرية بالحكم، وبالاستمرار فيه لفترة طويلة، ليس على الأغلب لأنها على صواب، ولا لأن هذا يبدو لية، بل لأنها الأقوى. لكن حكومة تحكم فيها الأكثرية في كل الحالات لا يمكن أن تتأسس على العدل، حتى في حدود فهم البشر له. ألا يمكن أن توجد حكومة لا تقرر فيها الأغلبية الحقّ والباطل، بل يقررهما الضمير؟ - حكومة تقرر فيها الأغلبية تلك المسائل تنطبق عليها قاعدة تيسير المصلحة؟ هل ينبغي أصلاً على المواطن للحظة، أو في الحدّ الأدنى، أن ينزل عن ضميره للتشريع؟ علام لكلّ إنسان ضمير إذن؟ أعتقد أننا يجب أن نكون بشراً أولاً، وبعدين رعايا. إذ ليس من المرغوب أن يُحرص على احترام القانون بقدر ما يُحرص على الحق. إن الفرض الوحيد الذي يحق لي أن أسأل عنه هو أن أفعل في أيّ وقت ما أراه حقاً. لقد صدق إلى حدّ كبير من قال بأن الجَمع لا ضمير له؛ لكن جَمعاً من أصحاب الضمائر هو جَمع ذو ضمير. لم يجعل القانونُ البشرَ أعدل بمقدار ذرة؛ وبواسطة تهيئهم منه، يصير يوماً ذوو النية الحسنة منهم حتى أدواتٍ للظلم. إن النتيجة الشائعة والطبيعية للاحترام المفرط للقانون هو احتمال رؤيتك رتلاً من الجند - عقيداً ورائداً وعريفاً وجندياً عادياً وغلام مدفعية وغيرهم - يمشون في نظام يبعث على الإعجاب ويقطعون التلال والوهاد إلى الحر

رغمًا عنهم - أجل، ضد سليقتهم وضميرهم - الأمر الذي يجعل مشيهم مشقة كبيرة فعلاً، ويسبب خفقاناً في القلب. لا ريب عندهم أن الأمر الذي تورطوا فيه أمر بغيبض؛ لكنهم يذعنون له مستكينين. أما وهذه هي الحال، ما يكون هؤلاء؟ أهم بشر أصلاً؟ - أم هم حصون ومخازن ذخيرة صغيرة متحركة في خدمة رجل صاحب نفوذ لا يتورع عن شيء؟ رُز رحبة السفن،

فتملأ جندي بحرية، رجلاً كالذي وحدها حكومة أمريكية بوسعها أن تصنعه، أو ما يمكنها أن تصنع من رجل بسحرها الأسود – تجد مجرد ظل للإنسانية وذكرى منها، رجلاً معروضاً حياً فوناً سلفاً، إذا جاز القول، تحت الأسلحة مع الموكب الجنائزي، مع أنه

لم يُسمَع طبلٌ، ولا نغمة جنائزية،

ونحن نعجل بجثته إلى المتراس؛

على القبر الذي ووري فيه بطلنا.

إن جمهور البشر يخدم على هذا النحو الدولة، ليس كبشر أساساً، بل كآلات، بأجسامهم. إنهم الجيش المرابط، والكتائب، والسجانون، والشرطة، والمكفون بالأمن، إلخ. وفي معظم الحالات يندم أي أعمال حرّ، أيّاً كان، للمحاكمة أو للحسّ الأخلاقي؛ بل هم يضعون أنفسهم على سعيد واحد مع الخشب والتراب والحجارة؛ ولعل بالإمكان تصنيع رجال من خشب يفون بالغرض على حدّ سواء. ومثل هؤلاء الرجال لا يستدرون من الاحترام بأكثر مما يستدر رجال من قش أو كومة من الوسخ؛ قيمتهم من قيمة الخيل والكلاب وحسب. ومع ذلك فإن لأمثالهم حتى على زلة مواطنين صالحين. وغيرهم – كغالبية المشرّعين والساسة والمحامين والوزراء – يخدمون الدولة بعقولهم على الأكثر؛ وبما أنهم قلما يقومون بأيّ تمييز أخلاقي، فإن حظهم في خدمة الشيطان، من غير أن يدروا، لا يقل عن حظهم في خدمة الله. وحدها ثلة صغير – كالأبطال والوطنيين والشهداء والمصلحين بالمعنى العظيم والرجال – يخدمون الدولة بضمائرهم أيضاً، وبالتالي يقاومونها بالضرورة في معظم الأحيان؛ وهي عموماً ما تعاملهم معاملة الأعداء. أما الرجل الحكيم فلا يكون مفيداً إلا كإنسان، ولسوف يابى أن يكون "يسد ثغرة درءاً للريح"، تاركاً تلك المهمة لرفاته على الأقل:

لأية دولة سيده في العالم بأسره.

مَن يهب نفسه بكليتها لرفاقه البشر يبدو لهم غير ذي نفع وأنائياً؛ أما مَن يهب نفسه لهم جزئياً فيُكرِّس فاعل خير ومُحسناً.

كيف ينبغي للرجل أن يتصرف حيال هذه الحكومة الأمريكية اليوم؟ أجبب بأنه لا يستطيع أن يكون على صلة بها بدون أن يجلِّله الخزي. لا أستطيع برهة واحدة أن أعترف بذلك التنظيم السياسي حكومة لي وهو حكومة العبيد أيضاً.

البشر جميعاً يعترفون بحق الثورة؛ أي الحق في رفض الولاء للحكومة والحق في مقاومتها عندما يصير استبدالها أو تقصيرها عظيماً أو لا يطاق. لكن الجميع تقريباً يقولون إن الأمر ليس كذلك الآن. إنما كان الأمر كذلك، على حدِّ قولهم، في ثورة عام 75. دهم أن يخبرني بأن الحكومة آنذاك كانت سيئة لأنها فرضت المكوس على بعض السلع الأجنبية المجلوبة إلى موانئها فمن المرجح جداً ألا أثير جلبة حول الأمر لأنني أستطيع أن أستغني عنها. لكل آلة احتكاكها؛ ومن الممكن أن يجلب هذا ما يكفي من الخير لموازنة الشر. وعلى كل فإن من عظيم الشر أن يثار لغطٌ بخصوص هذا الأمر. ولكن عندما يصل الأمر بالاحتكاك إلى امتلاك آله، وتنظيم الجور والنهب، أقول إننا يجب أن نتخلص من آلة كهذه. بعبارة أخرى، عندما يكون سدسُ تعداد أمة، نهضت لتكون ملاذاً للحرية، عبيداً، وتتعرض بلادٌ بأسرها ظلم لاعتداء جيش أجنبي وغزوه، وتخضع للقانون العسكري، أعتقد أن الأوان يكون قد آن لكي يتمرد شرفاءُ القوم ويثوروا. وما يجعل هذا الواجب عاجلاً أكثر هو أن البلاد المعتدى عليها على هذا النحو ليست بلادنا، بل إن جيش بلادنا هو الغازي.

إن بيلى - وهو مرجع عام في العديد من المسائل الأخلاقية -

"واجب الامتثال للحومة المدنية"، يختزل كل التزام مدني إلى تيسير المصلحة؛ ويمضي قائلاً إنه "مادامت مصلحة المجتمع بأكمله تتطلب ذلك، أي مادامت مقاومة الحكومة القائمة أو

تغييرها متعذرين بدون حصول بليلة عامة، فإن ...

حين. وبقبول هذا المبدأ فإن عدالة كلِّ حالة مقاومة خاصة تُختزل إلى حسابٍ لمقدار الخطر والضيم الواقع، من جانب، وإلى احتمال وكلفة تصحيحهما، من جانب آخر." وكل إنسان، على حدِّ قوله، يحكم في ذلك بنفسه. لكن يبدو أن بيلى لم يمعن النظر قط في تلك الحالات التي لا تنطبق فيها قاعدة تيسير المصلحة، والتي ينبغي فيها على الشعب، كما وعلى الفرد، أن يقيم

العدل، مهما كلف الأمر. فإذا انتزعتُ ظلماً من رجل يغرق لوحَ خشبٍ عليّ أن أعيده إليه، حتى إذا جازفتُ بالغرق. وهذا، بحسب بيلي، غير ملائم. لكن من يفوز بحياته، في حالة كهذه، يخسرّها. على هذا الشعب أن يكف عن استعباد الناس، وعن شنّ الحرب على المكسيك، وإن كلفه ذلك حياته كشعب.

الأمم، في ممارساتها، تتفق مع بيلي؛ ولكن هل من أحد يستصوب ما تفعل ماساتشوستس بالدقة في هذه الأزمة الراهنة؟

ترفع حاشية ثوبها، وتمرّغ روحها في الوحل.

من الناحية العملية، ليس المعارضون للإصلاح في ماساتشوستس مئة ألف سياسي في الجنوب، بل هم مئة ألف تاجر ومزارع هنا، همُّهم التجارة والزراعة أكثر من الإنسانية، وليسوا مستعدين نصاف العبد والمكسيك، مهما كلف الأمر. لست على خصام مع الأعداء البعيدين، بل مع القريبين في الوطن الذين يتعاونون مع أولئك البعيدين ويزايدون عليهم، القريبين الذين بدونهم يكون البعيدون مأموني الجانب. لقد اعتدنا أن نقول بأن جمهور البشر غير مستعد؛ غير أن التحسين بطيء لأن الصفة ليسوا مادياً أوفر حكمة أو أفضل من الجمهور. فليس من الأهمية بمكان أن يعادل ذلك الكثيرون خيراً، بقدر ما يهم أن يوجد خير مطلق ما في مكان ما؛ إذا إن به يختمر المجموع كله. هناك الألوف ممّن يعارضون في الرأي الرقّ والحرب، لكنهم بالفعل لا يحركون ساكناً لوضع حدّ لهما؛ الألوف ممّن، إذ يحسبون أنفسهم أبناء واشنطن وفرانكلين، يجلسون وأيديهم في جيوبهم، ويقولون إنهم حيارى فيما يفعلون، ولا يفعلون شيئاً؛ ممّن يقدمون حتى التجارة الحرّة على مسألة الحرية، ويقروون بعد العشاء بهدوء الأسعار الجارية مع آخر لاستشارات الواردة من المكسيك، ولعلمهم ينامون على كليهما قريري العين. فما هو السعر الجاري اليوم لرجل نزيه ووطني؟ إنهم يترددون، ويأسفون، يرفعون العرائض أحياناً؛ لكنهم لا يفعلون شيئاً جدياً وفعالاً. ولسوف ينتظرون، حسني النية، أن يقوم آخرون بتدارك الشر، لكيلا يضطرهم شيءٌ بعدُ إلى الأسف. وفي أحسن الأحوال، يمنحون صوتاً رخيصاً وتأبيداً واهناً للحق، إذا صادفوه، ويدعون له بالسلامة. هناك تسعمئة وتسعة وتسعون وصياً على الفضيلة مقابل رجل فاضل واحد. لكن من الأيسر التعامل مع المالك الحقيقي لشيء من الوصي المؤقت عليه.

تصويت فهو ضرب من اللعب، مثل الدّامة والنرد، عليه مسحةٌ خفيفة من الأخلاق، فهو تلاعبٌ بالحق وبالباطل، تلاعب بالمسائل الأخلاقية؛ وهو يترافق بالطبع مع الرهان. إن طبع المصوّتين ليس موضع رهان. أدلي بصوتي، ربما، لصالح ما أظنه حقاً؛ لكنني لست معنياً حيويّاً بأن يسود الحق. أوثر أن أفوض الأمر إلى الأكثرية. لذا فإن التزامها لا يتعدى الالتزام بتيسير المصلحة. وحتى التصويت لصالح الحق لا يفعل من أجله شيئاً. إنه تعبيرك للناس تعبيراً واهناً عن رغبتك في سيادته، ليس إلا. أما الرجل الحكيم فلن يترك الحق لرحمة المصادفة، كما لن يتمنى له أن يسود عبر سلطان الأكثرية. ليس في عمل جماهير البشر إلا القليل من الفضيلة. وإذا اتفق للأكثرية أن تصوّت أخيراً على إلغاء الرق فسيكون ذلك لأنهم غير مكترثين للرق، أو لأنه لم يبقَ إلا القليل من الرق يلغيه تصويتهم. وإذ ذاك لن يكون من عبید سواهم. وحده مَ يؤكد بصوته على حرّيته هو يستطيعُ صوته أن يعجّل في إلغاء الرق.

سمعتُ عن مؤتمر سوف ينعقد في بلتيمور، أو في غير مكان، لاصطفاء مرشّح للرئاسة، مؤلف في غالبية من ناشرين ومن رجال يحترفون السياسة؛ لكن ما همّ أيّ رجل مستقل وعاقِل ومحترم أيّ قرار يتوصلون إليه؟ ألن نحظى، مع ذلك، بميزة حكمته ونزاهته؟ ألا نستطيع أن نتكل على عدد من الأصوات المستقل؟ أليس هناك أفراداً عديدون في البلاد لا يحضرون المؤتمرات؟ ولكن كلا: أرى أن الرجل المحترم قد تخلّى من فوره عن موقعه، وقد يئس من بلاده عندما وجدتْ بلاده ما يستوجب اليأس منه. لذا فهو يسارع إلى تبني واحد من المرشحين المُصطَفَيْن على هذا النحو بوصفه المرشح الوحيد المتيسر، مبرهنناً بذلك أنه هو مستباح لأي مقصد من مقاصد الديماغوجي. وصوته لا يزيد قيمة عن صوت أيّ أجنبي لا يراعي حرمة أو رَجُل، في ظهره عظمٌ ليس خَرعاً، كما يقول جاري!

إحصاءاتنا على غلط: إذ لقد بالغتْ في تقدير عدد السكان. كم من الرجال يوجد في كل ألف ميل مربع في هذه البلاد؟ يكاد لا يوجد رجل واحد. ألا توفر أمريكا أي ترغيب للرجال لكي يستقروا هنا؟ لقد تضاعل الأمريكي حتى أمسى مخلوقاً عجيباً – مخلوقاً يُعرَف من نموّ عضو قطيعيته ومن نقص في عقله وفي اتكاله البهيج على النفس؛ مخلوقاً همُّه الأول والرئيسي، لدى قدومه إلى العالم، هو التأكد من أن دُورَ الإحسان في حالة صالحة؛ همُّه، حتى قبل أن يرتدي شرعاً زيَّ الرجولة، أن يجمع التبرعات لدعم الأرامل واليتامى المفترضين؛ مخلوقاً، باختصار، لا يغامر بالعيش إلا بمعونة شركة التأمين التعاونية التي وعدت أن تدفنه دفناً لائقاً.

من المفروغ منه أنه ليس من واجب المرء أن ينذر نفسه للقضاء على أيّ باطل، حتى أشده فداحة؛ قد تكون له بحق اهتمامات أخرى ينشغل بها؛ لكن من واجبه، على الأقل، أن يغسل يديه منه، وإذا لم يول الأمر المزيد من التفكير، ألا يحضه عملياً تأييده. إذا نذرت نفسي لمساع ومطالب أخرى، فعلياً أن أستيقن، على الأقل، من أنني لا أسعى إليها على كتفي رجل آخر. عليّ أن أفسح له المجال أولاً بحيث يستطيع أن يسعى إلى مطالبه هو الآخر. فانظروا أي تناقض فظ يُتساهل فيه. لقد سمعت بعض رجال بلدي يقولون: "ليتهم يأمروني بالخروج لأساعد في إخماد تمرد للعبيد، أو بالسير إلى المكسيك – فيروا إذا امتثلت؛" غير أن كلاً من هؤلاء الرجال أنفسهم قد أتى بالبديل، مباشرة بولائه، وعلى نحو غير مباشر قطعاً، على الأقل، بماله. يصوّق للجندي الذي يرفض أن يخدم في حرب ظالمة أولئك أنفسهم الذين لا يرفضون تأييد الحكومة الظالمة الذي تشن الحرب؛ وكأن الدولة تائبة إلى درجة أن المرء يتورع عن ضربها بالسوط وهي ترتكب الإثم، لكن ليس إلى درجة أن تكفّ عنه للحظة. وهكذا فإنه تحت عنوان النظام والحكومة المدنية تُرغم جميعاً في النهاية على تأدية فروض الولاء لخسنتنا وعلى تعزيزها. فبعد حياء المعصية الأولى تأتي اللامبالاة بها؛ وهذه من مُنكرة تصير لأخلاقية، إذا جاز القول، وليست غير ضرورية تماماً لتلك الحياة التي صنعناها.

إن الثبات أمام الغلط الأوسع والأشيع يتطلب الفضيلة الأكثر زهداً. إن المأخذ الطفيف الذي تتعرض له عموماً فضيلة الوطنية يؤخذ على النبلاء في الأعم الأغلب. فالذين، وإن اعترضوا على طبع حكومة ما وعلى إجراءاتها، يرضخون لها في ولائهم ودعمهم، هم مؤيدوها الخُص وهم، وفي الكثير من الأحيان، أخطر العراقيين أمام الإصلاح. بعضهم يرفع العرائض إلى الدولة لكي تحلّ الاتحاد، وتضرب كشحاً عن إيعازات الرئيس. فلم لا يحطونه بأنفسهم – بينهم وبين الدولة – فيرفضون دفع أقساطهم إلى خزينتها؟ أليس موقفهم في علاقتهم بالدولة مماثلاً لموقف الدولة في علاقتها بولايات الاتحاد؟ أليست الأسباب التي منعت الدولة من مقاومة ولايات الاتحاد هي عينها الأسباب التي منعت الولايات من مقاومة الدولة؟

كيف يرتضي إنسان لنفسه مجرد النظر في رأي والتمتع به؟ هل ثمة أية متعة رأيه هو مصدر الضيم النازل به؟ إذا أخذ منك جارك بالحيلة دولاراً واحداً فإنك لا ترتضي الاكتفاء بمعرفتك أنه احتال عليك، أو بقولك إنه احتال عليك، أو حتى بالتوسل إليه أن يدفع لك مستحقك عليه؛ بل تتخذ فوراً خطوات فعلية للحصول على المبلغ كاملاً، وتستيقن من أنه لن يحتال عليك من جديد. إن العمل بمقتضى مبدأ، وإدراك الحق وإحفاقه، يغير في الأشياء وفي

العلاقات؛ وهو ثوري من حيث الجوهر، ولا يتسق بالتمام مع أي شيء كان. إنه لا يشطر الدول والكنائس وحسب، بل والعائلات أيضاً؛ لا بل ويشطر الفرد، مُفرزاً الشيطاني فيه من الإلهي.

القوانين الظالمة موجودة: فهل نقنع بطاعتها، أم نسعى إلى تعديلها، فنطيعها حتى ننجح في مسعانا، أم ننتهكها على الفور؟ في ظل حكومة كهذه، يظن الناس عموماً أن عليهم أن ينتظروا ريثما يُقنعون الأكثرية بتغييرها. وهم يظنون أنهم، إذا ما قاوموا، فإن الدواء سيكون أسوأ من الدواء. لكن الحكومة هي المسؤولة عن كون الدواء أسوأ من الدواء؛ فهي التي تجعله أسوأ. فلم لا ترى من الأنسب أن تستيق الأمور وتمهد للإصلاح؟ لم لا تراعي أقليتها الحكيمة؟ لماذا تصرخ وتقاوم قبل أن يصيبها الأذى؟ لم لا تشجع مواطنيها أن يكونوا على أهبة الاستعداد لتبنيها إلى أغلاطها، وتفعل خيراً مما تتطلبهم أن يفعلوا؟ لماذا تصلب المسيح دائماً، وتعلن الحرم على كوبرنيكوس، وتَصمُ واشنطن وفرانكلين بالتمرد؟

يتراءى للمرء أن الإنكار العملي المقصود لسلطتها هو الإساءة الوحيدة التي لم تحتط لها قط؛ وإلا فلم لم تخصص له العقوبة المحددة والملائمة والمتناسبة معه؟ إذا رفض رجل لا يملك شروى نقير مرة واحدة أن يؤدي تسعة شلنات للدولة فإنه يودع السجن لفترة لا يحددها أي من القوانين التي أعرفها، ولا يعينها إلا اجتهاد الذين سجنوه؛ لكن إذا اتفق له أن يسر الدولة تسعين مرة تسعة شلنات فإنه سرعان ما يُسمح بإطلاق سراحه.

إذا كان الظلم جزءاً من الاحتكاك الضروري بين تروس آلة الحكومة، ليكن، ليكن: فربما اهترأت حتى الملاسة – لكن الآلة سوف تبلى حتماً. إذ خصَّ الظلم نفسه بنابض، أو ببكرة، أو كَ ربما أن تنتظر فيما إذا لم يكن الدواء أسوأ من الدواء؛ لكن إذا كان الظلم من طبيعةٍ تتطلب منك أن تصير أداة ظلم لغيرك، عندئذٍ، أقول لك: خالف القانون؛ ولتكن حياتك احتكاكاً مضاداً لوقف الآلة. فما ينبغي عليّ أن أفعله هو التيقن، في كل حال، من أنني لا أشرك باطل الذي أدبته.

أما عن تبني الطرق التي أتاحتها الدولة لمعالجة الدواء، فلا أعرف شيئاً عن مثل هذه الطرق. فهي تستغرق وقتاً من الطول بما قد يؤدي بحياة إنسان. عندي شؤون أخرى أنصرف إليها. لم أت إلى هذا العالم أساساً لكي أجعل منه مكاناً طيباً أحيا فيه، بل لكي أحيا فيه وحسب، حسناً كان أم سيئاً. ليس على الإنسان أن يفعل كل شيء، بل شيء واحد؛ ولأنه ليس في وسعه أن يفعل كل شيء، ليس من الضروري أن يفعل شيئاً خاطئاً. ليس من شأنني أن أرفع عريضة إلى الحاكم أو

المشرّع بأكثر مما هو من شأنهما أن يرفعا عريضة إليّ؛ وإذا لم يحملا عريضتي على محمل الجد ماذا عليّ أن أفعل حينئذٍ؟ بيد أن الدولة في هذه الحالة لم تتخّ طريقاً: دستوراً نفسه هو الشر. قد يبدو هذا من قبيل القسوة والعناد وعدم المودعة؛ لكن قوامه معاملة الروح الوحيدة التي بوسعها أن تقدّره أو تستحقه بأقصى ما يكون من اللطف والاعتبار. كذلك هو كل تغيير نحو الأفضل، مثل الولادة والموت، اللذين يختلج لهما الجسم.

لا أتردد في القول إن على أولئك الذين يسمّون أنفسهم دعاة إبطال الرق أن يسحبوا فعلاً على الفور دعمهم من حكومة ماساتشوستس، شخصياً ومالياً، ولا يلبثوا بانتظار أن يشكّلوا أكثرية رجل واحد، قبل أن يتولوا الحق بالسيادة من خلالها. أعتقد أن حسبهم أن يكون الله في صفهم، بدون أن ينتظروا ذلك الرجل الآخر. علاوة على ذلك، فإن أي رجل على حقّ أكثر من جيرانه يشكّل أصلاً أكثرية رجل واحد.

أقابل هذه الحكومة الأمريكية، أو ممثليها حكومة الولاية، مباشرة، ووجهاً لوجه، مرة كل عام – في شخص جابي ضرائبها؛ وهذه هي الكيفية الوحيدة المتاحة بالضرورة لرجل في موقعي لمقابلتها؛ وهي تقول حينئذٍ بصراحة: اعترف بي. إن الكيفية الأبسط، والأكثر فاعلية، وفي الوضع الحالي للأمور، الكيفية التي لا غنى عنها إلى أبعد حد، للتعامل معها على هذا الصعيد، وللتعبير عن رضاك الصغير عنها وعن محبتك لها، هي إنكارها إذن. إن جاري المدني، جابي الضرائب، هو بعينه الرجل الذي يتعين عليّ أن أتعامل معه –

– وهو قد اختار بإرادته أن يكون وكيلاً عن الحكومة. فكيف له أن يعرف يوماً معرفة جيدة ما هو وما يفعل كموظف للحكومة، أو كإنسان، حتى يكون مُجبراً على النظر فيما إذا كان سيعاملني – أنا، جاره الذي يكره له الاحترام – كجار وكنسان طيب يرة، أو كمهووس مثير للشغب، ويرى إن كان يستطيع أن يتخطى هذا الحائل دون جيرته بدون خاطر أو كلام أكثر رعونة وهياجاً يتناسب مع فعله. غير أنني أعرف هذا جيداً: إذا قام ألف رجل، مئة رجل، عشرة رجال أستطيع أن أسميهم –

فعلاً رجل شريف واحد فقط، في ولاية ماساتشوستس، وقد أعتق عبيده، بالانسحاب من هذه الشراكة، وحُبس من أجل ذلك في سجن المقاطعة، لكان ذلك هو إلغاء العبودية في أمريكا. إذ إنه لا يهم مطلقاً ما تبدو عليه البداية من صغر: فما يتم على الوجه الصحيح مرة يتم للأبد. لكننا م على الأمر: تلك، نقول، هي رسالتنا. غير أن الإصلاح يحتفظ بأعداد غفيرة من الصحف في خدمته، لكنه لا يحتفظ برجل واحد. إذا اتفق لجاري الموقر – سفير الدولة، الذي

سوف يخصّص أيامه لتسوية مسألة حقوق الإنسان في قاعة المجلس، بدلاً من أن يُهدّد بسجون كارولينا – أن يقاضي سجين ماساتشوستس، فإن تلك الولاية التي تحرص كل الحرص على أن تلقي بتبعة إثم الرق على شقيقتها – مع أنها في الوقت الحاضر لا تتورع عن الكشف في مسلك لا إكرام للضيف فيه فقط أساساً لخصومة معها – والمشرّع لن يرجئ النظر في القضية إلى

ة تسجن أياً كان ظلماً فإن المكان الصحيح للإنسان العادل هو أيضاً السجن. المكان اللائق اليوم، المكان الوحيد الذي خصّصته ماساتشوستس لأكثر أرواحها حرية وأقلها قنوطاً، هو في سجونها، يودعون فيها وتوصد أبوابها دونهم والدولة بفعل الدولة نفسه، بما أنهم فسهم خارجها إذ عملوا بمبادئهم. هناك يجدهم العبد الهارب، والسجين المكسيكي المفرج عنه على شروط، والهنديّ القادم للترافع عن الضيم النازل على قومه؛ ذلك المكان – لكن الأشرف والأكثر حرية، حيث تودع الدولة أولئك الذين لا يوالونها، بل يناوئونها – هو الدارُ الوحيدة في دولة عبيد يستطيع فيها إنسانٌ حرٌّ أن يقيم كريماً. أما إذا ظن بعضهم أن تأثيرهم سوف يضيع هناك، وأن أصواتهم لن تعود تطرق أذن الدولة، وأنهم لن يعودوا كالأعداء بين جدرانها، فإنهم لا يعرفون إلى أي حدّ يتفوق الحقُّ قوةً على الباطل، ولا إلى أبلغ وأفعل يقدر الذي ذاق المقامَ قليلاً في سجنه أن يجاهد ضد الظلم. أدل بصوتك كيّ، وليس بقصاصة ورق وحسب، بل بتأثيرك برمّته. الأقلية منزوعة القوة حين تنصاع للأكثرية؛ وهي إذ ذاك ليست أقلية حتى؛ لكنها لا تُقاوم عندما تنوء بوزنها المعنوي كيّ. فإذا كان البديل

في أيهما تختار. هب أن ألف رجل استنكفوا عن دفع فواتير ضرائبهم هذا العام، فهذا لن يكون إجراءً عنيفاً ودموياً، كما سيكون فيما لو دفعوها، ومكّنوا الدولة بذلك من ا دم بريء. وهذا، في الواقع، هو تعريف الثورة السلمية، إذا أمكن أن توجد ثورة كهذه. فإذا سألتني جابي الضرائب، أو أي موظف دولة آخر، كما سألتني أحدهم فعلاً: "ولكن ماذا سأفعل؟" فجوابي سيكون: "إذا أردت حقاً أن تفعل شيئاً، استقل من وظيفتك." إذ عندما يرفض الفرد من الرعية الولاء، ويستقيل الموظف من وظيفته، فإن الثورة ناجزة. ولكن حتى على افتراض أن الدم سوف يُسفك، أليس ثمة نوعٌ من سفك الدم عندما يُجرَح الضمير؟ عبر هذا الجرح تنزُّ رجولة المرء وخلوذه، وينزف حتى الموت الأبدي. واني لأرى هذا الدم ينزُّ

لقد افترضتُ حبس المخالف بدلاً من الاستيلاء على ماله – مع أن كليهما سوف يخدم الغاية نفسها – لأن الذين يصرون على الحق الأتقى، وهم، بالتالي، الأخطر على دولة فاسدة، لم يصرفوا غالباً وقتاً طويلاً في تكديس الأملاك. لمثل هؤلاء لا تقدّم الدولة بالمقارن ضئيلة، وإن ضريبة طفيفة من دأبها أن تبدو في نظر هؤلاء باهظة، ولاسيما إذا اضطروا إلى كسبها بعمل خاص بسواعدهم. فلو كان ثمّ امرؤ يعتاش بالكلية بدون استعمال المال فإن الدولة نفسها قد تتردد في مطالبته به. غير أن الرجل الثري – لئلا نقوم بأية مقارنة – مباح دوماً للمؤسسة التي تجعله ثرياً. وبكلام مطلق، كلما ازداد المال، تضاءلت الفضيلة؛ إذ إن المال يتوسط بين الإنسان وأغراضه، ويحصل له عليها؛ وبالتأكيد ليس الحصول عليه من عظيم الفضائل. فالمال يُخمد العديد من الأسئلة التي لولاه لاضطر إلى الإجابة عليها؛ في حين أن المسألة الجديدة الوحيدة التي يطرحها المال هي المسألة الصعبة، لكن النافلة: كيف ينفقه؟ وبهذا فإن أساسه الأخلاقي ينسحب من تحت قدميه. وفرص الحياة تتناقص في تناسب عكسي مع تزايد ما يسمى "الوسائل". لذا فإن خير ما يفعله المرء لتثقيف نفسه إذا كان غنياً هو أن يسعى إلى تنفيذ تلك الخطط التي وضعها حين كان فقيراً.

لقد أجاب المسيح الهيروديين بحسب سؤالهم. قال: "أروني مال العشر"؛ – فأخرج أحدُهم من جيبه درهماً؛ – فإذا استعملتم مالاً عليه صورة قيصر، وصيّره قيصر سارياً وقيماً، أي إذا كنتم ال الدولة، وكنتم تتمتعون مسرورين بامتيازات حكومة قيصر، إذ ذاك ردُّوا له بعض له عندما يطلبه. "أعطوا لقيصر ما لقيصر، ولله ما لله" – تاركين إياهم أجهل مما سبق فيما يخص أي شيء سيكون لمن؛ إذ إنهم لم يكونوا أصلاً يودون أن يعرفوا.

كلما تحادثت مع أكثر جيراني تحرراً، أدركت أنه أياً كان ما قد يقولون في سعة المسألة وجدّيتها، ومهما كان مبلغ اعتبارهم للأمان العام، فإن لبّ المسألة هو أنهم لا يستطيعون أن يستغنوا عن حماية الحكومة الحالية، وهم يخشون عواقب عصيانها على أملاكهم وعائلاتهم. من على حماية الدولة. لكني إذا تنكّرت لسلطة الولاية عندما تقدّم

لي كشفها الضريبي فإنها سرعان ما سوف تستولي على أملاكي كلها وتبديدها، وبذلك تتحرش بي وبأولادي بغير حد. وهذا يشق عليّ. إن هذا ما يجعل من المتعذر على المرء أن يحيا حياة شريفة، وفي الوقت نفسه مريحة، من حيث الأمور الخارجية. ولن يكون من المجدي كنز الأملاك، إذ لا بدّ للأمر من أن يتكرر. ينبغي عليك أن تستأجر أو تستحلّ مكاناً، ولا تزرع إلا محصولاً قليلاً تأكله سريعاً. ينبغي عليك أن تحيا في دخيلة نفسك، وتتكلم على نفسك دوماً،

مشيراً عن ساعديك، مستعداً للانطلاق، ولا تملك الكثير من الأغراض. بوسع امرئ أن يصير غنياً حتى في تركيا، إذا حرص أن يكون من كلِّ وجهٍ من الرعايا الصالحين للحكومة التركية. لقد قال كونفوشيوس: "إذا حُكِّمَت الدولة وفق مبادئ العقل فإن الفقر والبؤس يكونان وصمتي له وفق مبادئ العقل فإن الثروة والمفاخر يكونان وصمتي عار." أقول لا: فإلى أن أحتاج أن تشملني حماية ماساتشوستس وأنا في ثغر جنوبي بعيد، حيث تتعرض حريتي للخطر، أو إلى أن أصمِّ فقط على تعمير ضيعة لي في موطني بالمساعي السلمية، يجوز لي أن أرفض البيعة لماساتشوستس ولحِّقها على مُلكي وحياتي. وإنه ليكفني أقل من كلِّ الوجوه أن يُنزل بي عقابُ عصيان الدولة من أن أنصاع. الأحرى بي عند ذاك أن أشعر وكأن قيمتي تضاءلت.

منذ بضع سنوات استدعني الدولة لمصلحة الكنيسة وأمرتني بدفع مبلغ معيَّن مقابل إعالة رجل دين كان أبي مواظباً على حضور مواعظه، ولم أكن قط. قالت لي: "ادفع، أو دونك الحبس في السجن." فرفضت أن أدفع. لكن، لسوء الحظ، وجد رجل آخر أن من اللائق أن يدفعه. ما كنت لأفهم لماذا ينبغي على ناظر المدرسة أن يؤدي الضريبة لإعالة الكاهن، وليس العكس؛ ذلك أني لم أكن ناظر مدرسة الدولة، بل كنت أقوم بأودي من الهيئات الطوعية. ما كنت لأفهم لماذا لا تقوم المدرسة الثانوية بتقديم كشفها الضريبي وتكلف الدولة بدعم طلبها، وكذلك الكنيسة. غير نزولاً عند طلب اللجنة النازرة في القضية، تنازلت وصرحت كتابة بما مفاده: "أنا، هنري ثورو، أعلن على رؤوس الأشهاد أنني لا أود أن أعتبرَ عضواً في أية هيئة اجتماعية لم أنتسب إليها." وهذا التصريح سلَّمته إلى كاتب البلدة، وهو في حوزته. عندئذٍ فإن الدولة، إذ تنامي إليها أنني لم أكن أود اعتباري عضواً في تلك الكنيسة، كَفَّتْ منذئذٍ عن مطالبتني بشيء مثل هذا – وإن تكن قالت إنه ينبغي عليها أن تنقيد بإجرائها الأصلي في تلك المرة. ولو كنت أستطيع أن أحصي كافة الجمعيات التي لم أنتسب إليها قط لاستقلتُ منها جميعاً على التفصيل أعرف أين كنت أستطيع أن أجد قائمة مستوفية بها.

امتنتعتُ عن تأدية ضريبة الخراج مدة ست سنوات. ولقد أودعتُ السجن مرة من جراء ذلك مدة ليلة واحدة؛ ثم، وأنا واقف شاخصاً في جدران الحجر الصلب، ذات القدمين أو الثلاثة سماكة، وباب الخشب والحديد، ذا القدم سماكة، وقضبان النافذة الحديدية التي كانت تصوي الضوء كالمخلاة، لم يسعني إلا أن أنصعق بجنون تلك المؤسسة التي كانت تعاملني وكأنني مجرد لحم ودم وعظام، لا أصلح إلا للحبس. تفكَّرتُ في أنها قطعاً خُلصتُ أخيراً أن هذه أحسن معاملة كان

في وسعها أن تخصصني بها، ولم تفكر قط في أن تنتفع بخدماتي في صورة أو في أخرى. تبين لي أنه لئن كان هناك جدار من الحجر بيني وبين سكان بلدتي هناك جدار أشد عصياناً على التسلق أو الاختراق دونهم وبلوغ مقام الحرية الذي أنا فيه. لم أشعر ولا للحظة أنني محتجز، وبدت لي الجدران مضيعة هائلة للحجر والملاط. شعرت وكأني وحدي من بين سكان بلدتي قد سدّدت ضريبتي. لقد أسقط في يدهم صراحةً في كيفية معاملتي، لكنهم تصرفوا كأشخاص سيئي التربية. فكلُّ تهديد وكلُّ إطراء من جانبهم انطوى على حماقة؛ إذ إنهم ظنوا بأنني أتحرق رغبة من ذلك الجدار الحجري. لم أملك إلا أن أبتسم لرؤية مبلغ اجتهادهم في إغلاق الباب على تأملاتي، التي كانت تتبعهم من جديد خارجاً بدون عارض أو عائق، وكأن مكنم الخطر كله كان فيها. ولما لم يقدروا على الوصول إليّ، عزموا على معاقبة جسمي؛ مثل الصبيّة، إذا لم يتمكنوا من شخص يكيدون له فإنهم يؤذون كلبه. تبين لي أن الدولة معتوهة، وأنها كالمرأة العزباء المتخوفة على ملاعقها الفضية، وأنها لم تكن تميّز أصدقاءها من أعدائها، وهكذا فقدت كلَّ احترام متبقّي في حيالها، فأشفقتُ عليها.

بذلك فإن الدولة لا تواجه أبداً حسَّ المرء، العقلي أو الأخلاقي، بل جسمه وحواسه فحسب. فهي ليست مسلحة بالفطنة وبالصدق الرفيعين، بل بالقوة الجسمانية المتفوقة. لم أولد لكي أكره على شيء. ولسوف أنتفس على سحبيتي. ولنر من ممّا الأقوى. أية قوة يتصف بها الجمع الغفير؟ وحدهم يستطيعون إكراهي من يمثلون لقانون أعلى من القانون الذي أمثّل له. إنهم يُكروهوني على أن أصير مثلهم. لم أسمع برجال أكرههم جمهورُ الناس على اتخاذ هذه الطريق أو تلك. فأني ضرب من الحياة كان هذا سيكون؟ عندما أقابل حكومة تقول لي: "مالك أو حياتك"، لماذا أتعجل الدفع إليها بمالي؟ قد تكون واقعة في ضائقة عظيمة وليست تعرف ما ينبغي عمله: وهذا لا حيلة لي فيه. فعليها أن تساعد نفسها، فتفعل كما أفعل. والأمر لا يستحق التباكي عليه. لست مسؤولاً عن الدوران الناجح لآلة المجتمع؛ إذ لست من أبناء المهندس. أدرك أنه عندما تسقط واحدة منهما تبقى ساكنة لكي تفسح المجال للأخرى، بل

كلتاها تنصاع لقوانينهما، فتنبتان وتنموان وتزدهران بأحسن ما تستطيعان، إلى أن يتفق لإحداهما أن تلقي بظلها على الأخرى وتدمرها. إذا لم تستطع نبته أن تحيا بحسب طبيعتها فإنها

كانت الليلة في السجن جديدة وممتعة إلى حدّ كبير. كان السجناء في قمصانهم يتمتعون بتجاذب أطراف الحديث وبهواء المساء في المدخل عندما دخلت. غير أن السجناء قال: "هيا، يا شباب،

حان وقت الإغلاق"؛ وهكذا تفرَّقوا، وسمعت صوت خطواتهم تؤوب إلى مقصوراتهم المجوفة. فيقّ سكني بوصفه "صاحباً من الدرجة الأولى ورجلاً ذكياً". وعندما أوصدّ البابُ أرشدني الرجلُ إلى مكان تعليق قبعتي وكيفية تدبّره الأمورَ هناك. كانت الحجرات تُطلى ببياض الكلس مرة كلِّ شهر؛ وهذه، على الأقل، كانت أشدها بياضاً، مؤثثة على أبسط ما يمكن، ولعلها أنظف مقصورات البلدة وأكثرها ترتيباً. كان بالطبع يريد أن يعرف من أين أتيت وماذا جاء بي إلى هناك؛ وعندما أخبرته سألته بدوري كيف جاء إلى هناك، مفترضاً أنه رجل مستقيم، بالطبع؛ وعلى مرّ الأيام، أعتقد أنه كان كذلك. قال: "عجباً لهم يتهمونني بإحراق مخزن للخبز - لم أفعل ذلك قط." لعل أقرب ما استطعت اكتشافه إلى الواقع، أنه، أغلب الظن، ذهب إلى فراشه في المخزن مخموراً، ودخّن غليونه هناك؛ وهكذا احترق المخزن. لقد ذاع صيئته كرجل ذكي، وكان ينتظر هناك منذ حوالي ثلاثة أشهر منتظراً أوان محاكمته، وربما كان عليه أن ينتظر مدة أطول بكثير؛ لكنه أَلَفَ الحياة هناك ورضي بها تماماً، بما أنه يحصل على الطعام والمأوى مجاناً، ويعتقد بأنهم يُحسِنون معاملته.

خصّ نفسه بنافذة وخصصت نفسي بالأخرى؛ وقد رأيت أنه لو قُيِّض للمرء أن يمكث هناك طويلاً لوجد أن عمله الرئيسي يقتصر على النظر من النافذة. سرعان ما قرأت كلّ الكراريس المتروكة هناك، وعايّنت المكان الذي فرّ منه سجناء سابقون، وأين جرى نشر قضبان إحدى النوافذ، واستمعت إلى قصص عن مختلف شاغلي تلك الحجرة؛ إذ إنني وجدت أنه حتى هنا كان ثمة تاريخ وثرثرة لا تسري أبداً خارج جدران السجن. فلعل هذا هو البيت الوحيد في البلدة الذي تُقرَض فيه أبيات شعر، لا تلبث فيما بعد أن تُطَبَع على شكل تعميم، لكنها لا تُنشر. ولقد اطلعت على قائمة طويلة فعلاً من الأبيات التي أَلَفها بعض الشبان ممّن ضُبطوا في محاولة للفرار، فتأروا لأنفسهم بغنائها.

استخلصتُ من رفيقي السجين كلّ ما استطعت، مخافة ألا أحظى برويته ثانية؛ لكنه أخيراً دلّني

كان مبيتُّ ليلة هناك أشبه بالسفر في بلاد بعيدة، بلاد ما كنت لأتوقع أبداً أن أشاهدها. لاح لي لقرية؛ ذلك أننا

نمنا تاركين النوافذ التي كانت داخل القضبان مفتوحة. كان الأمر أشبه برؤية القرية التي شهدت مولدي في ضوء العصور الوسطى، فتحول نهر كونكورد فيها إلى مجرى الراين، وتتابع

رؤى الفرسان والحصون أمام ناظري. تلك كان أصوات الأهالي التي كنت أسمعها في لشوارع. كنت رغماً عني مشاهداً ومستمعاً لكل ما كان يحصل ويقال في مطبخ فندق البلدة – وتلك كانت تجربة جديدة ونادرة تماماً لي. كانت نظرةً إلى مسقط رأسي أقرب. كنت في داخله نوعاً ما. لم أكن قد رأيت مؤسساته من قبل قط. وهذه واحدة من مؤسساته غير فة؛ ذلك أنها مركز ناحية. وبدأت أفهم ما كان عليه سكانها.

في الصباح كان إفطارنا يمرر لنا من الفتحة في الباب، في صينيات صغيرة مستطيلة مربعة، جُعِلَتْ لتتناسب الفتحة، وعليها مكيال من الشوكولاتة، مع خبز أسمر، وملعقة حديدية. وعندما نادوا علينا لاسترداد الأوعية من جديد، كنت غشيماً إلى حدّ أني أعدت ما تركته من الخبز؛ لكن رفيقي قبض عليه على عجل وقال إنني يجب أن أستبقيه للغداء أو للعشاء. وبعيدئذٍ سُرِح للعمل في جمع التبن في حقل مجاور، كان يذهب إليه كل يوم ولا يؤوب منه إلا ظهراً؛ لذا فقد تمنى لي يوماً طيباً، قائلاً إنه يشك أنه سيراني من جديد.

– ذلك لأن أحدهم تدخل ودفع تلك الضريبة – لم ألاحظ تغيرات عظيمة حصلت على العموم،، كالتي يلحظها من يدخل شاباً ثم يخرج رجلاً شاباً شعره وترنحت مشيئته؛ ومع ذلك فإن تغيراً ما طرأ على المشهد في نظري – لاية، – أعظم من أيّ تغيرٍ يمكن لمجرّد الزمن أن يُحدّثه. رأيت الولاية التي أعيش فيها بوضوح أكبر أيضاً. رأيت إلى أيّ حدّ يمكن للناس الذين أحيا بين ظهرايهم أن يؤثّمنوا كجيران وأصدقاء طيبين؛ أن صداقتهم تقتصر على فصل الصيف وحسب؛ أنهم لا يبالون كثيراً بعمل الحق؛ أنهم سلالة مختلفة عني بسبب من تحاملاتهم وخرافاتهم، شأنهم شأن الصينيين والملاويين سواء بسواء؛ أنهم في تضحياتهم من أجل الإنسانية لا يخاطرون بشيء، ولا حتى بممتلكاتهم؛ أنهم في المال ليسوا بهذا النبل، بل يعاملون السارق كما عاملهم، ويأملون، بفضل تدبُّنٍ خارجي وبضع صلوات، وبفضل السير، من حين لآخر، على درب مستقيم معين لكنه عقيم، أن يخلصوا نفوسهم. قد يكون في هذا تحاملٌ في الحكم على جيراني؛ فإني أعتقد أن الكثيرين منهم لا يدرون أن لديهم في قرينهم مؤسسة كالسجن.

لقد جرت العادة في قريننا سابقاً، أنه عندما يخرج مدين مسكين من السجن، يقوم معارفه لتحيته، ناظرين من خلال أصابعهم المتقاطعة بما يشبه قضبان نافذة السجن: "كيف حالك؟" غير أن جيراني لم يحيوني هكذا، بل نظروا إليّ أولاً، ثم إلى بعضهم بعضاً، وكأني عدت من رحلة

طويلة. لقد أودعتُ السجن وأنا ذاهب إلى الإسكافي لاسترداد حذاء لي كان يصلحه. وعندما أخلّي سبيلي في صباح اليوم التالي، مضيت لإنهاء أموري، ثم، وقد احتذيت حذائي المتعافي، انضمت إلى فريق من جامعي العنّبية كانوا يتحرقون إلى وضع أنفسهم تحت قيادتي؛ وفي - وجدت نفسي وسط حقل من العنّبية، -

على واحد من أعلى التلال، على مسافة ميلين، وهناك توارت الولاية عن الأنظار.

تلکم هي قصة برمتها.

لم أرفض قط دفع ضريبة الطريق العام، لأنني لا أقل رغبة أن أكون جاراً طيباً مني أن أكون من الرعايا السيئين؛ أما عن دعم المدارس فإنني أؤدي دوري لتربية أبناء وطني الآن. ولست أرفض دفع الكشف الضريبي بسبب بند معين وارد فيه. أود ببساطة رفض البيعة للولاية، وذلك للانسحاب والوقوف منحازاً عنها بالفعل. لا أبالي باقتناء مسار دولاري، لو استطعت، اللهم إلا عندما يشتري رجلاً أو بارودة يقتل بها رجلاً - لكنني حريص على اقتناء آثار بيعتي. والواقع أنني أعلن الحرب بهدوء على الولاية، على طريقتي، على الرغم من أنني سأدأب على استعمالها والاستفادة من أية ميزة لها، كما جرت العادة في مثل هذه الحالات.

إذا دفع غيري الضريبة المطلوبة مني، تعاطفاً مع الدولة، فهم يفعلون ما سبق أن فعلوه في حالتهم، أو هم بالحري يحضون على الظلم إلى حدٍ أكبر مما تتطلبه الدولة. أما إذا دفعوا الضريبة اهتماماً في غير محلّه في الفرد المضروب، حرصاً على ممتلكاته، أو للحيلولة دون ذهابه إلى السجن، فذلك لأنهم لم يتمعنوا في حكمة إلى أيّ حدٍ يدعون مشاعرهم الخاصة تتدخل في الخير العام.

ذلك، إذن، هو موقفي في الحاضر. لكن مهما بلغ حذر المرء في حالة كهذه فهذا لا يكفي، مخافة أن يجنح عمله من جراء المعاندة أو الاعتبار المفرط لآراء الناس. فليحرص على أن يعمل فقط ما يخصه ويخ .

يخطر ببالي أحياناً - عجباً كيف أن هؤلاء القوم طيبوا النوايا، لكنهم جاهلون وحسب؛ ولكنوا أحسنوا العمل لو أنهم كانوا يعرفون كيف: لماذا تكلف جيرانك مشقة معاملتك بما ليسوا ميايين إليه؟ لكنني أعود فأقول: هذا ليس سبباً يجعلني أفعل كما يفعلون، أو أسمح للآخرين أن يكابدوا شقاءً أكبر بكثير، لكن من نوع آخر. كذلك، أقول لنفسي أحياناً: عندما يطلب ملايين الناس منك،

بدون احتداد، بدون سوء نية، بدون شعور شخصي من أي نوع، بضعة شلنات فقط، بدون أن يستطيعوا – فذلك هو تكوينهم – الرجوع عن طلبهم أو تغييره، وبدون أن تستطيع، من جانبك، التماس ملايين آخرين، لماذا تعرّض نفسك لتلك القوة العجاء الجارفة؟ أنت لا تقاوم البرد والجوع، الرياح والأمواج، بهذا العناد، بل تخضع بهدوء لألف ضرورة مشابهة. أنت لا تزج برأسك في النار. ولكن كما أنني نسبياً لا أعتبر هذه القوة قوة عجماء تماماً، بل قوة بشرية جزئياً، وأعتبر أن العلاقات التي تربطني بأولئك الملايين هي علاقات بعدد مماثل من البشر، وليست بأشياء عجماء أو جامدة، أرى أن هذا الالتماس ممكن، أولاً وأخيراً، منهم إلى باربيهم، وثانياً، منهم إليهم. لكنني إذا وضعت رأسي في النار عامداً فلا التماس

بالبشر كما هم، وبأن أعاملهم على هذا الأساس، وليس، من بعض الوجوه، على أساس متطلباتي وتوقعاتي لما يجب أن يكونوا وأكون إياه، إذ ذاك فإنني، كالمسلم والجبري الطيب، لا بدّ أن أسعى إلى الرضى بالأشياء على حالها، وأقول بأنها مشيئة الله. وفوق ذلك كله، هناك هذا الفارق بين مقاومة هذا ومقاومة قوة محض عجماء أو طبيعية، المتمثل في أنني أستطيع أن أقاومه بشيء من الفعالية؛ إنما لا يمكنني أن أتوقع، مثل أورفيوس، تغيير طبيعة الصخور والأشجار والبهائم.

لا أود أن أتخاصم مع أيّ رجل أو أمة. لا أود أن أمحك في الكلام، أن أقيم تمييزات دقيقة، أو أضع نفسي في منزلة أحسن من منزلة جيراني. أفتش بالحري، إذا جاز لي القول، عن عذر حتى للانصياع لقوانين البلاد. لا بل إنني أكثر من متأهب للانصياع لها. أجل، عندي ما يبرر لي الشك في نفسي في هذا الصدد؛ وكل عام، عندما يزورني جابي الضرائب، أجدني مستعداً لاستعراض أعمال ومواقف الحكومتين، الحكومة العامة وحكومة الولاية، وروح الناس، حتى

علينا أن نحنّ على وطننا كما نحنّ على والدينا،

بحبنا أو بجهدنا أن يكرّمه،

يجب أن نتحمل النتائج ونعلّم النفس

أمور الضمير والدين،

وليس الرغبة في الحكم أو المنفعة.

أعتقد أن الولاية سرعان ما ستتمكن من انتزاع عملي النوعي هذا كله من بين يدي، وعندئذ لن أكون وطنياً أحسن من أبناء وطني. الدستور، منظوراً إليه من وجهة نظر أدنى، مع مثالبه كلها، جيد جداً؛ القانون والمحاكم محترمة جداً؛ وحتى هذه الولاية وهذه الحكومة الأمريكية، من وجوه عديدة، تستحقان الإعجاب، وهما شيئان نادران يستوجبان الامتنان، كما وصفهما عدد كبير من الناس؛ أما منظوراً إليهما من وجهة نظر أعلى قليلاً، فهما على ما وصفتهما؛ ومن وجهة نظر أعلى، ومن وجهة النظر العليا، من ذا يستطيع القول ما هما، أو فيما إذا كانتا تستحقان النظر إليهما أو التفكير فيهما أصلاً؟

غير أن الحكومة لا تهمني كثيراً، وسوف أخصص لها أقل ما يمكن من الخواطر. فاللحظات التي أحيها فيها تحت لواء حكومة ليست كثيرة، حتى في هذا العالم. فإذا كان المرء حرّاً الفكر، حرّاً المخيلة، حرّاً التصور، أي ما لا يبدو أنه ملك له طويلاً قط، فإن الحكام أو المصلحين غير ماء لا يستطيعون حتماً أن يمنعوه.

أعرف أن غالبية القوم تفكر على غير ما أفكر؛ لكنّ حسبي أولئك الذين حياتهم منذورة مهنة لدراسة هذا الموضوعات أو موضوعات أخرى نسبية مهما قلّ عددهم. أما رجال الدولة والمشرّعون الواقفون بكليتهم ضمن المؤسّسة، فلا يميزون أنفسهم عنها ولا ينظرون إليها على حقيقتها. يتكلمون على تحريك المجتمع، لكنّ ليس لهم مستقر بدونها. قد يكونون رجالاً لديهم شيء من الخبرة والتميز، ولا ريب في أنهم اخترعوا نظاماً مبتكرة وحتى مفيدة، الأمر الذي نشكرهم عليه خالص الشكر؛ لكن فطنتهم وفائدتهم تكمن ضمن حدودٍ معينة ليست واسعة جداً؛ فدأبهم أن يتناسوا أن العالم غير محكوم بالسياسة وبالذرائع. إن [رجل القانون] وبستر لا يتخلف أبداً عن الحكومة، وبالتالي لا يستطيع أن يتكلم عليها كلام ذي سلطان. كلماته حكمة بنظر أولئك المشرّعين الذي لا يتطلّعون إلى أيّ إصلاح في الحكومة الراهنة؛ وأولئك الذين يشرّعون لكلّ الأزمنة، فإنه لا يكلف خاطره إلقاء نظرة واحدة على الموضوع. أعرف أناساً من شأن تفكيرهم الرصين الحكيم في هذه المسألة أن يكشف سريعاً حدود مداه الذهني وأريحيته. ومع ذلك فإنه، بالمقارنة مع المزاعم الرخيصة لغالبية المصلحين، ومع الحكمة والبلاغة الأرخص أيضاً للسياسيين إجمالاً، فإن كلماته تكاد تكون الكلمات الوحيدة الحساسة والقيّمة، ونحن نشكر

السماء على وجوده. إنه، بالمقارنة، قوي دوماً، أصيل، وفوق كل شيء، عملي. ومع ذلك فإن صفته ليست الحكمة بل الحيطة. إن حقيقة المحامي ليست الحقيقة، بل التماسك أو الذريعة التماسكة. فالحقيقة متناغمة دوماً مع نفسها، ولا يهتمها في المقام الأول الكشف عن العدل الذي يتوافق مع ذلك بارتكاب الشر. إنه يستحق بحق أن يدعى، كما دُعِيَ فعلاً، .

فلا ضربات ثمة يضربها، بل ضربات دفاعية. إنه ليس قائداً، بل تابع. قادته هم رجال 1787 [من واضعي الدستور]. يقول: "لم أبذل جهداً قط، ولا أقترح بذل جهد؛ لم أستحسن جهداً، ولا أنوي استحسان أيّ جهد، من شأنه أن يخلخل الترتيب كما وُضِعَ أصلاً، الذي انضمت وفقاً له الولايات المختلفة إلى الاتحاد." ومفكراً كذلك في التأييد الذي يقدمه الدستور للرقّ يقول: "بما أنه كان جزءاً من العهد الأصلي - فليبق." وعلى الرغم من حدة ذهنه وقدرته الخاصين فإنه لا يقدر أن يستخلص واقعة من علانها السياسية المجردة وينظر إليها كما لو أنها مطروحة فقط لكي يُعمل العفلُ فيها - ماذا، على سبيل المثال، ينفع المرء أن يفعل هنا في أمريكا اليوم فيما يخص الرق - بل يخاطر أو ينفاد إلى تقديم إجابات مثل الإجابة اليائسة التالية، بينما يتظاهر بالكلام مطلقاً، وكرجل فرد - فأني قانون للواجبات الاجتماعية جديد وفريد يمكن أن يُستنبط منها؟ يقول: "إن الوسيلة التي ينبغي على حكومات تلك الولايات التي يوجد فيها الرقّ أن تضبطه بها تعود إلى تقديرها هي، تحت طائلة مسؤوليتها حيال ناخبها، حيال القوانين العامة للملكية، والإنسانية، والعدالة، وحيال الله. أما الجمعيات التي تشكلت في أماكن أخرى، نابعة من شعور إنساني، أو من أي سبب آخر، فلا تمت بصلة من أيّ نوع إلى تلك الوسيلة. لم يسبق لها أن تلقّت أيّ تشجيع مني، ولن تتلقّى."

لم يظهر رجل عبقرية في التشريع في أمريكا. فهم نادرون في تاريخ العالم. هناك خطباء، سياسيون، ورجال بليغون، بالآلاف؛ لكن ما من خطيب ف تسوية المشكلات الراهنة الشديدة الإقلاق للراحة. إننا نحب البلاغة من أجل ذاتها، وليس من أجل حقيقة ما قد تنطق بها، أو أية بطولة قد تلهمها. لم يتعلم مشرّعونا بعد القيمة النسبية للتجارة الحرة والحرية، للاتحاد، وللاستقامة، بالنسبة للأمة. ليست لديهم عبقرية أو موهبة للمسائل المتواضعة نسبياً لفرض الضرائب والتمويل، للتجارة والصناعة والزراعة. ولو ثرنا ترشدنا فطنة المشرّعين المطننين في الكلام في الكونغرس وحدها، لا تقوّمها الخبرة التي تأتي في أوانها والشكاوى الفعلية للناس، لما استطاعت أمريكا أن تحافظ طويلاً على منزلتها بين الأمم. منذ ألف وثمانمائة سنة، مع أيّ ربما لا يحق لي أن أقول ذلك، كُتِبَ العهد الجديد؛ ومع ذلك، أين هو

المشرّع الذي يملك ما يكفي من الحكمة والموهبة العملية لكي ينتفع بالنور الذي يليه على العلم
تشريع؟

إن سلطة الحكومة، حتى إذا كانت من النوع الذي أنا مستعد للخضوع له – إذ إنني سوف أطيع
مبتهجاً أولئك الذين يعلمون ويمكنوا أن يعملوا أحسن مني، وفي أشياء كثيرة حتى الذين ليسوا
يعلمون وليس بمقدورهم أن يعملوا خيراً مما أعمل – مازالت سلطة غير طاهرة: فحتى
عادلة بالدقة، يجب أن تحوز على إذن المحكومين وموافقتهم. ليس لها أي حق محض على
شخصي أو ملكي إلا ما أنزل لها عنه. إن التقدم من الملكية المطلقة إلى الملكية المحدودة، ومن
هذه إلى الديمقراطية، هو تقدم نحو احترام حقيقي للفرد. وحتى الفيلسوف الصيني
الحكمة بحيث اعتبر الفرد أساس الإمبراطورية. فهل الديمقراطية، كالتي نعرفها، آخر تحسين
ممكن في الحكم؟ أليس من الممكن أن نخطو خطوة إلى الأمام نحو الاعتراف بحقوق الإنسان
ونحو تنظيمها؟ لن تكون ثمة دولة حرة ومنتوّرة حتى تؤول الدولة إلى الاعتراف بالفرد
كسلطان أعلى مستقل، تُستمدُّ منه قدرتها وسلطانها، فتعامله على هذا الأساس. يلذ لي أن أتخيل
دولة على الأقل تطبيق أن تكون عادلة مع البشر قاطبة، وتعامل الفرد باحترام كأنه جار؛ دولة لا
تجد حتى أنه من لا يتناقض مع راحة بالها أن يتفق لثلة منهم أن يحيوا بمنأى عنها، لا
يخالطونها، ولا تضمُّهم، وقد قاموا بواجباتهم كجيران وكرفاق بشر على التمام. إن دولة جادت
بمثل هذه الثمرة، وتمتَّت عليها أن تسقط حال نضجها، من شأنها أن تعيد الطريق لدولة أكمل
منها وأمجد – دول تخيلُها هي الأخرى، لكنني لم أرها بعد في أي مكان. (70)

:

1 - أدب الولايات المتحدة الأمريكية : ماركوس كنيف ترجمة سامي فهمي القليوبي ، مراجعة د. لويس مرقص ، الألف كتاب 558 علي تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية ، دار 1965 . - القاهرة . ص165 .

2 - للمزيد من التوضيح ينظر :

- أدب الولايات المتحدة الأمريكية : ماركوس كنيف ترجمة سامي فهمي القليوبي ، مراجعة د. لويس مرقص 164 .
- موجز تاريخ الأدب الأمريكي : بيتر هاي ، ترجمة هيثم حجازي ، دراسات نقدية عالمية (8) 1990م ، سورية - 49 - 55 .
- www.startimes.com/f.aspx?t=18018333
- iipdigital.usembassy.gov/arabic/
- <http://iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/publication/2009/06/20090609134404snmassabla0.5491907.html#ixzz2u3LeFiR>
- O

3 - Nicomachean Ethics : Aristotle , Translated by W. D. Ross ,
www.adelaide.edu.au/ : book I , 7 .

تاريخ الفلسفة اليونانية : يوسف كرم إلد السلسلة الفلسفية ،
1355هـ / 1936 244 - 245 .

4- العصيان المدني : هنري د. ثورو ترجمة: ديمتري أفبيرينوس وموسى الحوشي

1 www.maaber.org/tenth_issue/non_violence_2a.htm:

5 - للمزيد من التوضيح ينظر : الموقع الإلكتروني :

www.almaany.com/home.php?language=arabic...name...word

الشامل : قاموس مصطلحات العلوم الاجتماعية : إنجليزي - : . 1
1420 هـ / 1999 دار عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع ، المملكة العربية السعودية
- الرياض . 238 - 239 الموسوعة الميسرة للمصطلحات السياسية (عربي - انجليزي
(: . ماعيل عبد الفتاح عبد الكافي ، 186
الاجتماعية : انجليزي - - : . - بيروت . ص
180 موسوعة السياسة : د. عبد الوهاب الكي وآخرين ، راجعها ونقحها رشاد بيبي ،
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت - 2 567 - 568 .

6 - العصيان المدني : هنري د. ثورو 1 .

7 - : _المكسيكية_ الأمريكية/ ar.wikipedia.org/wiki .

8 - عارنا في الجزائر : جان بول سارتر ، الدار القومية للطباعة والنشر ، مصر - القاهرة . ص
5

9 - العصيان المدني : هنري د. ثورو 1 - 2 .

10 - : 2 .

11- (الديمقراطية) فكرة موضع خلاف : فيليب غرين ، ترجمة د. محمد درويش ، جمهورية
2007 . 1

12 - تاريخ الديمقراطية : حكم القوانين لا حكم الأشخاص : 2012م ، د. نبيل ياسين ، مركز
البحرين للدراسات في . 4 .

13 - : 4 - 5 .

14 - : العبد الذي ملك هو وأبواه ، والتقنية هي الملك .
والضمير : أضمر شيئاً : أخفاه ، والضمير ، ما هو مضمّر أي السر وهو
يضمّره الإنسان في نفسه ويصعب الآخرين الاطلاع عليه . ويقال أضمر في نفسه أمراً أي
عليه بقلبه .

15 - للمزيد من التوضي ينظر :
www.almaany.com/home.php?language=arabic...name...word
=

www.maajim.com/dictionary/

معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية : انجليزي - - :
الموسوعة السياسية: د. عبد الوهاب الكي وآخرين : 4 726 - 727 .

16 - للمزيد من التوضيح ينظر :
www.almaany.com/home.php?language=arabic...name...word

الضمير/www.maajim.com/dictionary/ المعجم الفلسفي : مجمع اللغة العربية ،
1403 هـ / 1983م ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، جمهورية مصر العربية .
110 . المعجم الفلسفي : بالألفاظ العربية والفرنسية والإنكليزية واللاتينية : د. جميل صليبا ،
1982 م ، دار الكتاب اللبناني ، مكتبة المدرسة ، بيروت - 1 763 - 764 .

17 - العصيان المدني : هنري د. ثورو . 2 .

18 - للمزيد من التوضيح ينظر : [www.habous.gov.ma/daouat-](http://www.habous.gov.ma/daouat-alhaq/item/1709)
. alhaq/item/1709

19 - العصيان المدني : هنري د. ثورو . 2 - 3 .

20 - : 4 .

21 - والدين : وحي الغابة : هنري ثورو ، ترجمة أمين مرسي قنديل . بدون ، ص 17 .

22 - ظهر مصطلح العقيدة القتالية مع نشوب الصراع المسلح بين الدول وهو يعني في
مفهومه العام التعبير الأمني لوجهات النظر الرسمية في كل ما يتعلق

التحضير له ودارته وجني ثمار النصر الذي يطرقه ، لذلك فن العقيدة القتالية إلى بلورة وجهة نظرها لتحقيق أمنها القومي وفرض سيادتها وإعلاء كلمتها . وضعت الدول عقائدها العسكرية بما ينسجم وأهدافها المخططة والواجب تحقيقها المتاحة لهذه الدول البشرية منها والاقتصادية والجغرافية ضمن سياق العقائدية الفكرية وكانت تقوم بتطوير هذه العقيدة وتعديلها بما ينسجم ويتوافق مع أهدافها ومخططاتها والتطورات التي تشهدها هذه البلاد أو تلك . للمزيد من التوضيح ينظر : [. albasalh.com/vb/showthread.php?t=32](http://albasalh.com/vb/showthread.php?t=32)

23 - للمزيد من التوضيح ينظر : www.alarabnews.com/alshaab/2004/04-06-2004/11.htm

24 - الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو : جون لوك ، ترجمة د. محمود شوقي الخيال ، اخترنا لك 81 ، مطابع شركة الإعلانات الشرقية . 11 .

25 - كيف نسقط الاستبداد : في فنون النضال الجماهيري السلمي المشترك : حركة 20 فبراير تحت المجهر : عبد الرحمن النوضه ، كتاب إلكتروني نشر لأول مرة في أبريل 2013 . 13 .

26 - العصيان المدني : هنري د. ثورو 4 .

27 - الحكومة المدنية وصلتها بنظرية العقد الاجتماعي لجان جاك روسو : 152 .

28 - في الحرية والديمقراطية : كارل بوبر ، ترجمة عقيل يوسف زيدان ، مراجعة محمد عبد الجبار شبوط ، ترجمات تنوير (1) 1 ، الكويت 2009 م ، مركز الحوار للثقافة (تنوير) .44

29 - للمزيد من التوضيح ينظر : المواقع الإلكترونية :

www.thirdpower.org/index.php?page=read&artid...

iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/pamphlet/2013/.../20130903282.146.html

- 30 - العصيان المدني : هنري د. ثورو . 5 .
- 31 - المشاركة السياسية والديمقراطية : اتجاهات نظرية ومنهجية حديثة تفاهم في فهم العالم من حولنا : د. سامية خضر صالح ، 2005 . 24 - 25 .
- 32 - العصيان المدني : هنري د. ثورو . 6 .
- 33 - للمزيد من التوضيح ينظر :
iipdigital.usembassy.gov/st/arabic/.../20100623121356x0.5398371.
.html
- 34 - ديمقراطية للقلة : مايكل بارنتي ، ترجمة حصة المنيف ، مراجعة مني مطاوع ، تقديم
1 (464)
2005 . 61 .
- 35 - العصيان المدني : هنري د. ثورو ص 6 - 7 .
- 36 - المرجع السابقة : ص 7 .
- 37 - المرجع السابق : ص 8 .
- 38 - النظام السياسي لمجتمعات متغيرة : صمويل هنتجتون ، ترجمة سميرة فلو عبود ، ط 1
1993 م ، دار الساقى ، بيروت - 7 - 8 .
- 39 - العصيان المدني : هنري د. ثورو ص 8 .
- 40 - : 8 .
- 41 - : 8 - 10 .
- 42 - العبودية في العصر الحديث : باتريسيا ديلبيانو ، ترجمة أماني فوزي حبشي ، د. عز الدين عناية ، ط 1 1433 هـ / 2012 . 212 - 213 .
- 43 - العصيان المدني : هنري د. ثورو ص 10 .
- 44 - : 10 .

للمزيد من التوضيح ينظر : والدن : وحي الغابة : هنري ثورو ترجمة أمين مرسي قنديل ،
. 162 .

45 - البدائل الحقيقية : جين شارب ، مؤسسة ألبرت أينشتاين ، بدون . ص 3 .

46 - العصيان : هنري د. ثورو 10 - 11 .

47 - القانون والحرية في حضارة الغرب : إسماعيل مظهر ، رسالة الفكر الحر ، الرسالة
الثانية ، 1947 . 6 .

48 - العصيان : هنري د. ثورو 11 - 12 .

49 - : 10 .

50 - : 12 .

51 - فكرة القانون : د. دينيس لويد ، تعريب المحامي : سليم الصويص ، مراجعة سليم بسيسو
(47) 1981 م ، عالم المعرفة : سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني
- الكويت . ص 15 .

52 - العصيان : هنري د. ثورو 12 - 13 .

53 - : 13 .

54 www.el-balad.com/661872 .

55 - العصيان : هنري د. ثورو 16 .

56 - : 16 .

57 - والدن : وحي الغابة : هنري ثورو ، ترجمة أمين مرسي قنديل . ص 94 .

58 - : 17 .

59 - ورفيوس : هو بطل الخارقين الميثولوجيا الي نانية . و هبته ا له مواهب موسيقية فوق . هو ابن الإله أبولو Apollo أو ابن ملك تراقية أويغروس

Oeagrus وأمه كاليه : Calliope والموسيقى التسع الشقيقات
Musai : ، وقد أهداه أبولو قيثارة : Lyr فكان يعزف بها ويغني ألحانا شجية ساحرة .
أساطير كثيرة تدور كلها حو عذوبة صوته و جمال عزفه على الموسيقى
القيثار . يقال ه حلاوة غناه كان الطير و الشجر و والحيوانات ترقص و تتمايل
ألحانه . ولقد ورد في أسطورة أورفيوس : كان أورفيوس بن أبوللو وموسي الملحمي .
وأهداه أبيه قيثارة وعلمه العزف عليها ، وهو ما أنجزه بكمال لا يستطيع أحد أن يقاوم سحر
موسيقاه . ليس فحسب أتباعه ولكن الوحوش البرية أيضا مة بما يقدمه من
موسيقي ، وكانت تتجمع حوله متخلية عن وحشيتها ومنبهرين بعرضه الموسيقي . لا ، إن
الأشجار والصخور كانوا حساسين لسحر موسيقاه . وكان السابقين يتجمعون حوله والتالين
يرخون حد ما من صلابتهم ويزدادون رقة بموسيقاه . للمزيد من التوضيح ينظر المواقع
الإلكترونية :

أورفيوس/ arz.wikipedia.org/wiki/

forum.stop55.com/362979.html

نصوص أورفيوس/ www.bartleby.com/bulfinch/

60 – عندما سئلت دار الإفتاء المصرية عن الحكم الشرعي بصدد : الخروج في المظاهرات
الآتية : الرقم المسلسل 4015 .

تاريخ الإجابة 2011/8/17 .

المظاهرات : منها إظهار أن طلب ليس مطلباً فردياً وإنما هو مطلب جماعي .
فالتظاهر مكون من أمرين كل منهما في نفسه يعد جائزاً بمجرد ؛ أولهما : مجرد الاجتماع
بالأبدان ؛ إذ الأصل في الأفعال نفي الحرج حتى يدل الدليل على خلافه . الأمر الثاني :

وه ؛ فالمظاهرة بهذا وسيلة لهذ

. والأصل في طلب الحاجات من الحاكم أنه مشروع ؛ فولي

حوائج الرعية .

على أنه ينبغي التنبه إلى أن هذا الجواز مشروط بعدة شروط ومضبوط بعدة ضوابط ، منها :

1- ألا يكون موضوعها المطالبة بتحقيق أمر منكر لا يجيزه الشرع .

- 2- ألا تتضمن شعارات أو ألفاظا يحرمها الشرع .
- 3- ألا تتضمن أموراً محرمة من نحو إذاية الخلق أو الاعتداء على ممتلكات الناس أو الاختلاط المحرم بين الرجال والنساء .
- والاعتصامات شأنها شأن المظاهرات في الحكم والضو .
- وأما قول من قال إن المظاهرات ممنوعة لأنها بدعة غريبة ، فغير مقبول ، لأنها ليست من العبادات حتى يقال إنها بدعة ، فإن قيل : المقصود أنها من بدع العادات الواردة إلي ، فالجواب : أن هذا أيضا غير صحيح ؛ لأن المظاهرات عرفها المسلمون في مختلف أمصارهم أعصارهم قديما ، وكانت تستعمل مع الولاة أحياء ، وأحيانا مع المحتل الغاصب .
- _____ : أن المظاهرات والاعتصامات جائزة من حيث الأصل ، وقد تعثر بها باقي الأحكام الخمسة بحسب مقصدها ووسيلتها . و يه فتكون المشاركة فيها بحسب حكمها . والله سبحانه .
- للمزيد من التوضيح ينظر : الموقع الإلكتروني لدار الإفتاء المصرية :

. www.dar-alifta.gov.eg/default.aspx

- 61 - العصيان المدني : هنري د. ثورو ص 18.
- 62 - المرجع السابق : ص 18 .
- 63 - حرية الفكر في العالم الجديد : زكي نجيب محمود ، ط 2 ، 1402 هـ / 1982 م . دار الشرق - مصر . ص 65 - 66 .
- 64 - العصيان : هنري د. ثورو ص 20 .
- 65 - حرية الفكر في العالم الجديد : زكي نجيب محمود ، ص 70 .
- 66 - سلسلة الحكماء يتكلمون : منغ تسي (ماتشيوس) : تساي شي تشين ، دار النشر لتعلد اللغة الصينية ، الدار العربية للعلوم ناشرون ، ط 1 1429 هـ / 2008 . ص 152 .
- 67 - العصيان المدني : هنري د. ثورو ص 20 - 21 .
- 68 - والدين : وحي الغابة : هنري ثورو ، ترجمة أمين مرسي قنديل . ص 232.

69 – المرجع السابق : ص 167 .

. www.maaber.org/tenth_issue/non_violence_2a.htm - 70